

موجز البلاغة

تأليف

صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ سيدي

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام

المالكي وشيخ الجامع الاعظم

لدام الله بقاءه



حقوق الطبع محفوظة

طبع على نفقة المكتبة العلمية لصاحبها

السيد محمد الأمين وأخيه الطاهر بنهج المكتبة عدد ١٢ بتونس

طبعة أولى

بالمطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

هذا موجز علم البلاغة

اما بعد حمد الله الذي انطق البلقاء، وفضل النبغاء، وميزهم عن سائر حسوا في ارتقاء، والصلاة والسلام على المرسل بالحنيفية لا امة فيها ولا شقاء، وكل من صغى الى دعوته افضل صغاء، فاني رايت طلبة العلم يزاولون علم البلاغة بطريقة بعيدة عن الايفاء بالمقصود اذ يتدوون بمزاولة رسالة الاستعارات لابي القاسم الليثي السمرقندي وهي زبدة مستخلصة من تحقیقات المطول والمفتاح يحتسونها قبل ابانها ثم يتناولون مختصر التفتازاني قبل ان ياخذوا شيئا من علم المعاني وفي ابتدائهم شوط وفي اتقانهم طفرة فرايت ان اضع لهم مختصرا وحيزا يلم بمهمات علم البلاغة ليكون لهم كالمقدمة لمزاولة دروس مختصر التفتازاني؛ وضعته وضع من يقصد الى تثقيف طلبة هذا العلم بالمسائل النافعة المجردة عن المباحث الطفيفة في فنون البلاغة الثلاثة فان هم اتقنوه فهما ضمننت لهم ان ينطقوا بلسان فصيح، ويملاوا اوطاب اذهانهم من المحض الصريح.

مقدمة

البلاغة فعالة مصدر بُلغ بضم اللام كفقّه وهو مشتق من بُلغ بفتح اللام بلوغا بمعنى وصل وانما سمي هذا العلم بالبلاغة لانه بمسائله وبمعرفةاتها يبلغ المتكلم الى الافصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشمول على ما يُعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوي سجيّة يجاؤل تحصيلها بهذا العلم صاغوا له وزن فعل بضم العين للدلالة على السجيّة فقالوا بُلغ فلان بلاغة كما قالوا ضَخُمَ وسَمَّوْا مجموع مسائل هذا العلم بمصدر بُلغ فقالوا علم البلاغة (١) فان المتكلم اذا تكلم فانما اهتمامه بان ينقل ما في ضميره الى ذهن سامعه فهو محتاج قبل كل شيء الى معرفة اللغة التي يريد ان يخاطب بها من مفرداتها وكيفية تركيبها فاذا لم يعلم ذلك لم يكّد كلامه ان يفهم وهذه المعرفة تحصل له من علم اللغة والنحو والصرف فان حاول تكلمها بدون هذه المعرفة كان مثله كما قال الخطيئة في الشجر « يريد ان يعربه فيعجمه » (٢) ولكنه اذا علم اللغة والنحو والصرف فانما يستطيع ان يعبر عن

(١) وبيان ذلك ان اشتغال الكلام على الكيفيات التي تعارفها خاصة فصحاء العرب فكان كلامهم اوقع من كلام عامتهم وانفذ في نفوس السامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيات مما ابتكره المزاولون لكلامهم وادبهم وعلى ما يحسن ذلك مما وقع في كلام العرب وابتكره المولعون بلسانهم يعد بلوغا من المتكلم الى منتهى الافصاح عن مراده (٢) مثال ذلك ما حكاه الجاحظ انه سأل رجلا دخيلا في العربية عن صبي اخذته الشرطة في سرقة اتهم بها قائلا في : اي شيء اسلموا هذا الصبي ؟ فاجاب « في اصحاب سند نعال » اي في اصحاب النعال السندية . وقال مرة يشتم غلاما للجاحظ « الناس ويلك انت حياء كلهم اقل » يريد انت اقل الناس حياء واسم هذا الدخيل نفيس بن بريهة . وكما يريد احد ان يقول باع فرسين فيقول بيع فرس وفرس لانه لا يعرف كيف يصوغ ماضي باع ولا يعرف صيغة المثني ولا الاعراب .

حاصل المراد واصل المعنى ولا يستطيع ان يفصح عن تمام المراد فلو اراد ان يخبرك بحضور تلميذ واحد من تلامذة درسه وتخلّف الباقي فقال لك حضر زياد لم تفهم الا انه اخبرك بحضور زياد لثلاث كتبه متخلفا ثم اذا علمت ان بقية التلامذة لم يحضروا فقلت له : ما بالك لم تخبرني بعدم حضور انس ونافع وغيرهما ؟ قال لك : الست قد اخبرتك بحضور زياد ولم اذكر لك غيره ؟ فذلك بقوله ذلك على قصوره في معرفة اداء جميع مراده على انه لو تنبه لزيادة البيان لقال حضر زياد لم يحضر انس لم يحضر نافع لم يحضر زهير واخذ يعدد بقية التلامذة او استعان بحركة يديه فقال لك حضر زياد ثم ضرب يديه كالنافض لهما كأنه يشير الى معنى فقط فحينئذ ادى جميع مراده لكن بعبارة غير سهلة ومع اشارة فاذا كان قد علم الكيفية الخصوصية للتعبير عن هذا المراد وهي ان يقول ما حضر الا زياد كان قد بلغ الى اداء جميع مراده بكلام سهل وكذا اذا اراد ان يخبرك عما ابلاه عنترة من الشجاعة والفتك في يوم من ايامه فجعل يقول قتل فلانا وجرح فلانا وضرب الفرس فادماه وهرب راكمه وسبي نساءهم وحطم مشاتهم فانه قد دلّك على جميع مراده بعبارة غير واضحة في الدلالة على جميع المراد اذ قد يعنيه العدّ فان هو قال لك « كان عنترة يومئذ اسداً » فقد دلّك على جميع المراد بكلام واضح الدلالة عليه . ولما كانت الكيفيات المذكورة لا تقع الا في كلام خاصة اهل اللسان العربي سموها بالخصوصيات نسبة الى الخصوص وهو ضد العموم الذي هو بمعنى الجمهور وتسمى بالنكت ايضا .

فالعلم الباحث عن القواعد التي تُصير الكلام دالا على جميع المراد وواضح الدلالة عليه يدعى علم البلاغة . ثم ان هنالك محسنات للكلام متى اشتمل عليها اكتسب قبولاً عند سامعه ولما كان حسن القبول يبعث السامع على الاقبال على الكلام بشرائره وكان في ذلك عون على ايعاء جميع المراد جعلوا تلك المحسنات اللفظية من لواحق مسائل هذا العلم سواء كان حسنها عارضا للفظ من جهة موقعه

المعنوي (١) كالمطابقة في قول ابي ذؤيب الهذلي

أما والذي ابكى واضحك والذي ا مات واحيي والذي أمره الامر
ام كان حسنها عارضا له من جهة تركيب حروفه كالجناس في قول الحريري :
سَمِ سَمَةً تُحَمَّدُ آثَارَهَا واشكر لمن اعطى ولو سَمِسْمَةً

فكلها تسمى المحسنات وتوابع البلاغة ويلقبونها بالبديع .

فانحصر علم البلاغة لذلك في ثلاثة فنون فن المعاني وهو المسائل التي بمعرفتها
يستطيع المتكلم ان يعبر عن جميع مرادة بكلام خاص . وسمي علم المعاني لان مسأله
تعلمك كيف تفيد معاني كثيرة في الفاظ قليلة ؛ اما بزيادة لفظ قليل يدل على معنى
حقه ان يؤدي بجمل مثل صيغة انما في الحصر ؛ وكلمة إِنَّ في التأكيد ورد الانكار معا
واما بان لا يزيد شيئا ولكنه يرتب الكلام على كيفية تؤدي بذلك الترتيب معنى زائدا
مثل تقديم المفعول والظرف لافادة الحصر في نحو : الله احد ؛ واياك نعبد وهذا الفن
هو معظم علم البلاغة . وفن البيان وهو المسائل التي بمعرفتها يعرف وضوح الدلالة على
المراد كقولك : عنترة اسد ؛ وحاتم كثير الرماد . وفن البديع وهو المسائل التي تبحث
عن المحسنات اللفظية كما تقدم .

فتعريف علم البلاغة هو العلم بالقواعد التي بها يعرف اداء جميع المراد بكلام
ذي اساليب خاصة واضحة مع ما يعين على قبوله وذلك بتوفيقه خواص التراكيب حقها
وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وايداع المحسنات بلا كلفة مع
فصاحة الكلام .

(١) المراد بموقع اللفظ المعنوي ان معناه الموضوع له في اللغة هو هو بحيث لا
تجد له خصوصية في اختلاف معناه حتى يصير من مسائل علم المعاني بل يوجد موقع
يكون فيه لوقوع ذلك اللفظ احسن من وقوع غيره فانه لو قال « اما والذي ابكى
وارشد » لكان وقوع لفظ ارشد اقل من وقوع لفظ اضحك وكذلك لفظ ابكى لو
وقم مع قوله والذي ا مات لم يكن له من الحسن ما كان له في موضعه الاول

(تاريخه) - كان هذا العلم منشورا في كتب تفسير القرآن عند بيان اعجازه وفي كتب شرح الشعر ونقده ومحاضرات الادباء من اثناء القرن الثاني من الهجرة فالف ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ١٤٤ كتاب مجاز القرآن والف الجاحظ عمر وبن بحر المتوفى سنة ٣٤٤ كتبا كثيرة في الادب وكان بعض من هذا العلم منشورا ايضا في كتب النحو مثل كتاب سيويه ولم يخص بالتأليف إلا في اواخر القرن الثالث اذ الف عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (المولود سنة ٢٤٧ والمتوفى سنة ٢٩٦ قتيلا بعد ان بويع له بالخلافة ومكث يوما واحدا خليفة) كتاب البديع اودعه سبعة عشر نوعا وعد الاستعارة منها

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني الاشعري الشافعي المتوفى سنة ٤٧١ فالف كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة اولهما في علم المعاني والثاني في علم البيان فكانا اول كتابين ميزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير مخصصين ولا تامي الترتيب فهما مثل در متناثر كنزها صاحبه لينظم منه عقدا عند تاخيه فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المعتزلي المولود سنة ٥٥٥ والمتوفى سنة ٦٢٦ الى نظم تلك الدرر فالف كتابه العجيب المسمى مفتاح العلوم في علوم العربية واودع القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التأليف مسائل البلاغة دونها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط فكان الكتاب الوحيد اقتبسه من كتابي الشيخ عبد القاهر ومن مسائل الكشف في تفسير القرآن للزمخشري فاصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الادباء بعده في التأليف في هذا العلم الجليل

فن المعاني

المعاني علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغا فصيحاً في افراده وتركيبه (١) فالفصاحة ان يكون الكلام خالصا اي سالما مما يعد عيبا في اللغة بان

(١) يعني تعرف احوال الالفاظ المفردة لتكون فصيحة وتعرف احوال الالفاظ المركبة وهي الجمل والكلام ليكون كلاما فصيحاً وبليغا

يسلم من عيوب تعرض للكلمات التي تتركب منها الكلام او تعرض لمجموع الكلام (١)
 فالعيوب العارضة للكلمات ثلاثة الغرابة . وتناسف الحروف .
 ومخالفة قياس التصريف . والعيوب العارضة لمجموع الكلام ثلاثة
 التعقيد (٢) وتناسف الكلمات . ومخالفة قواعد النحو ويسمى
 ضعف التأليف

أما الغرابة فهي قلة استعمال الكلمة في متعارف اهل اللغة او تناسبها في
 متعارف الادباء مثل الساهور اسم الهلال ومثل تكأكأ بمعنى اجتمع وافر تقع بمعنى
 تفرق في قول ابي علقمة احد الموسوسين وقد اصابه صرع فاحسأت به الناس
 « ما لكم تكأكأتم علي كما تكأكأون على ذي جنة افرقعوا » (٣) واما تناسف
 الحروف فهو ثقل قوي في النطق بالكلمة لاجتماع حروف فيها يحصل من اجتماعها

(١) اعلم ان الفصاحة من اخص اوصاف كلام العرب وعدها في علم المعاني
 من حيث انها شرط في البلاغة اذ لا يعتد بالكلام البليغ الا اذا كان فصيحاً فلها توقف
 وصف البلاغة على تعقل معنى الفصاحة ذكروها هنا لئلا يحيلوا المتعلم على علم آخر
 وقد كان الشأن ان تعد الفصاحة من مسائل علم الانشاء والمتقدمون عدوها في
 المحسنات البديعة نظراً لكونها حسناً لفظياً لكن الحق ان كونها اقوى اعتباراً من
 البلاغة مانع من عدوها في المحسنات التي هي توابع فالوجه عندها من مسائل الانشاء
 وان ذكرها هنا مقدمة للعلم وانما اشترطت الفصاحة في تحقق البلاغة لان الكلام
 اذا لم يكن فصيحاً لم تقبل عليه افهام السامعين فيفوتها كثير مما اودعه المتكلم في
 كلامه من الدقائق

(٢) ويقال له التعقيد اللفظي وهنالك تعقيد يوصف بالمعنوي يرجع الى الكناية
 التي تخفى لوازمها خفاء شريداً كما قال بعض المهوسين في مدح بعض علماء تونس
 « يا قريب العهد من شرب اللبن » وقال اردت انه نال العلم على صغر سنه ولا
 حاجة الى التعرض له هنا لقلة جدواه ولانه لا علاقة له باللفظ الذي هو معروض
 الفصاحة ولان الفصاحة ليست من فن البيان ولا من فن المعاني بل هي من مقدمات
 الفن ولا شيء من المقدمات بمسائل

(٣) اعلم ان الحكم على الكلمة بالغرابة عسر جداً بالنسبة للمولدين لان
 استعمال العرب بعد عنا وعليه فنحن نعرف غرابة الكلمة اما بكونها غير جارية على

ثقل نحو الحُجْعُ نبت ترعاه الابل واقل منه في الثقل مستشزرات بمعنى مرتفعات
واما الثقل الذي لا يضجر اللسان فلا يضرب نحو امدحه ونحو وسبحه وقول زهير
* ومن هاب اسباب المنايا ينلنه *

واما مخالفت قياسي التصريف فهو النطق بالكلمة على خلاف
قواعد الصرف

كما يقول في الفعل الماضي من البيع بيع لجهله بان حرف العلة اذا تحرك
وانفتح ما قبله يقلب الفاء.

واما التعقيد فهو عدم ظهور دلالة الكلام على المراد الاختلال في نظمه
ولو كان ذلك الاختلال حاصلًا من مجموع امور جائزة في النحو كقول الفرزدق
يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي خال الخليفة هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابو يعقارب
اراد وما مثله في الناس حي يقاربه اي في المجد الا ملكا ابو ام الملك ابو هذا
الممدوح فشتت اوصال الكلام تشتيًا تضل فيه الافهام (١) واما التنافر فهو
ثقل الكلمات عند اجتماعها حين تجتمع حروف يعسر النطق بها نحو قول الراجز
الذي لا يعرف

وقبر حرب بمكان قفسر وليس قرب قبر حرب قبر

فكل كلمة منه لا تنافر فيها وانما حصل التنافر من اجتماعها حتى قيل انه
لا يتهاى لاحد ان ينشد النصف الآخر ثلاث مرات متواليات فلا يتلعثم لسانه

الاوزان المتعارفة والحروف المألوفة نحو هلّوف اي يوم ذو غيم . واما بكون الكلمة
غير متكررة الاستعمال في المحفوظ من فصيح نظم العرب ونثرهم نحو خنقق
اي الداهية المهلكة فقد قال المهلهل

قل لبني حصن يردونه او يصبروا للصيلم الخنقق

واما بوجود مرادف كثر استعماله ونسي الآخر نحو جيدر بمعنى قصير فانه
ورد في كلامهم بقلة

(١) اذ يتوهم السامع انه يقول لا مثل له الا ملكا جده للام حي وابوه يقارب
جده للام في المجد او في العمر وهذا معنى مضحك

واما مخالفت قياس النحو فهو عيب كبير لانه يصير الكلام مخالفا لاستعمالات العرب الفصحاء فهو يعرض للولدين والمراد منه مخالفة ما اجمع النحاة على منعه او ما كان القول بجوازه ضعيفا ووروده في كلام العرب شاذا نحو تعريف غير في كقول كثير من طلبة العلم الغير كذا ونحو تقديم التاكيد على المؤكد في قول المعري

تعب كلها الحياة فما اء يجب الا من طامع في ازدياد

وكذلك كل ما جوزوه في ضرورة الشعر اذا وقع شيء منه في النشر فضعف التأليف عيب لا يوجب انهم المعنى بخلاف التعقيد

والبلاغة اشتمال الكلام على احوال خصوصية (١) تستفاد بها معان زائدة على اصل المعنى (٢) بشرط فصاحته كاشتمال قوله تعالى «فقالوا انا اليكم مرسلون» على حالة خصوصية وهي التاكيد بان لافادة معنى زائد وهو توكيد الخبر لاجل ابطال تردد المخاطبين فيه وذلك امر زائد على اصل المعنى وهو الاعلام بكونهم رسلا الذي يكفي لافادته ان يقال أرسلنا اليكم او نحن اليكم مرسلون وتسمى هذه الاحوال الخصوصية بالنكت وبالخصوصيات وهي تكثر وتقل في الكلام بحسب وجود الدواعي والمقتضيات من كثرة وقلة كالادوية فانها تشتمل على عقاير كثيرة تارة وقليلة اخرى بحسب ما يحتاجه المزاج لاصلاحه . انظر مثلا قوله تعالى « هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور » فتجد في قوله

(١) نسبة للخصوص وهم خاصة الناس في هذا الباب اعني بلغاء الكلام لان هاته الاحوال لا توجد الا في كلام البلغاء دون كلام السوقه ولئن وجدت في كلام السوقه فانها غير مقصود بها مرماها

(٢) اصل المعنى هو المقدار الذي يتعلق غرض المتكلم بافادته المخاطب سواء كان قليلا نحو نزل المطر او بزيادة معنى نحو نزل الجود ورسف فلان فانه يفيد ازيد من نزل المطر ومشى فلان لكنه افادة بممدلول الكلمات وقد تكرن الزيادة في المعنى نحو جاء فلان الكاتب وكل هذا من قبيل اصل المعنى لان جميعه تعبير لزمت افادته فالاصل ان اصل المعنى يطول ويقصر بحسب الغرض وهو فوائد اصلية . ثم اذا كيف المتكلم المعنى بكيفيات فتلك الكيفيات زائدة على اصل المعنى

« ينزل » احدهما التعبير بصيغة « فعل » الدالة على التكرير ،
والثانية التعبير بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار لان المقام للتبشير
بزيادة الاخراج من الظلمات الى النور يوما فيوما وفي كل حال . وانظر قوله في
الآية الاخرى « نزل عليك الكتاب بالحق » فلا تجد في « نزل » إلا خصوصية
واحدة وهي التعبير بصيغة « فعل » لان المقام للامتنان . والامتنان يكون بما
وقع لا بما سيقع والبلغ في اتيانه بهذه الاحوال في كلامه يراعي احوال المخاطبين
ومقامات الكلام (١) فلا يتاتي بنكته وخصوصية الا اذا رأى ان قد اقتضاها حال
المخاطب واستدعاها مقام الكلام وبمقدار تفاوت المتكلمين في تنزيلها على مواقعها
يتفاوت الكلام في مراتب البلاغة الى ان يصل الى حد الاعجاز الذي يعجز البشر عن
الاتيان بمثله وهو الذي اختص به القرآن المنزل من حكيم حميد في جميع آياته والى
حد قريب منه وهو الذي اختص به نوابغ بلغاء العرب مثل امرئ القيس والنابغة
والاعشى وسجبان في اكثر كلامهم

وحيث كانت البلاغة يتصف بها الكلام باعتبار افادته عند التركيب والاسناد فلا
جرم ان كان ملاك الامر فيها راجعا الى ما يتقوم به الاسناد وكذلك كفيات الاسناد
والمسند اليه والمسند ثم تتفرع البلاغة في متعلقاتها من المعمولات واحوال الجمل
وسيجيء كل نوع من ذلك في بابه

باب الاسناد

الاسناد ضم كلمة الى اخرى ضما يفيد ثبوت مفهوم احدهما لمفهوم الاخرى نحو
حاتم كريم واکرم حاتما . او اتقاء عنه نحو ما خالد جيانا ولا تقاتل خالدا سواء
كان بالتعيين ام بالترديد (٢)

(١) احوال المخاطبين مثل حال المنكر والمتردد والمعتقد العكس في القصر وحال
الذكي والغبي في ايراد الكناية واما المقامات فهي اغراض الكلام والمواقع التي يتكلم فيها
البلغ مثل مقام الحرب ومقام السلم ومقام الحب ومقام الموعظة ومقام الاستدلال
العلمي ومقام الخطابة الاقناعي

(٢) قصدت بهذه الزيادة ادخال نحو قام زيد او عمرو وادخال الاستفهام

وحكم ما يجري مجرى الكلمة نحو الضمير المستتر والجملة الواقعة خبرا بحكم الكلمة (١) فالكلمة الدالة على المحكوم عليه تسمى مسندا اليه والكلمة الدالة على المحكوم به تسمى مسندا والحكم الحاصل من ذلك يسمى الاسناد وكل من المسند اليه والمسند والاسناد عوارض بلاغية تختص به

عوارض الاسناد واحواله

شاع ان الاسناد من خصائص الخبر فلذلك كثر ان يصفوه بالخبري بناء على ان الانشاء كالامر والنهي والاستفهام لا اسناد فيه والتحقيق ان الاسناد يثبت للخبر والانشاء فان في الجملة الانشائية مسندا ومسندا اليه فالفعل في قولك اكرم صديقك مسند والضمير المستتر فيه مسند اليه

واعلم ان القصد الاول للخبر من خبره هو افادته المخاطب بالحكم (٢) وقصد المتكلم بالجملة الانشائية ايجاد مدلول الانشاء في الامر يقصد ايجاد المأمور به ويسمى الامتثال وفي النهي يقصد عدم ايجاد الفعل ويسمى الانكفاف وفي الاستفهام يقصد الجواب بالافهام وهكذا

وقد يخاطب بالخبر من يعلم مدلوله ويخاطب بالانشاء من حصل منه الفعل المطلوب فيعلم ان المتكلم قصد تنزيل الوجود منزلة المعدوم بنكته قد تتعلق بالمخاطب اما لعدم جري العالم على موجب علمه كقول عبد بن الحساس

❦ كفى الشيب والاسلام للهراء ناهيا ❦ فان المقصود منه تذكير من لم يزعه الشيب والاسلام اذ قد علم كل الناس انهما وازعان . واما لان حاله كحال ضده كقولك للتلميذ بين يديك اذالم يتقن الفهم يافتي فانك تطلب اقباله وهو حاضر لانه كالغائب

(١) اعلم انني تفحنت تعريفهم للاسناد فاتيت بتعريف ينطبق على الخبر وعلى الانشاء ولذلك لم اذكر في التعريف لفظ الحكم بل قلت يفيد ثبوت مفهوم الخ لان في الانشاء ثبوتا وانتفاء لكن بلا حكم
(٢) اذا لا يقصد المتكلم من كلامه مجرد النطق به كالسعال والابتن واما قول الخطيئة

ابت شفتاي اليوم الا تكلميا بسوء فما ادري لمن انا قائله
فذلك ضرب من التمليح اذ جعل نفسه لا يستطيع البقاء بلا هجاء

واما لقصد الزيادة من الفعل نحو « يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله » فطلب منهم الايمان بعد ان وصفهم به لقصد الزيادة والتعلي منه واما لاختلال الفعل حتى كان غير مجد لفاعله مثل قوله صلى الله عليه وسلم للذي رآه يصلي ينقر نقر الديك « صل فانك لم تصل » وهذا كثير في كلامهم ، وقد تتعلق النكتة بالمتكلم ليريك انه عالم بالخبر كقولك لصاحبك سهرت البارحة بالنادي وقول عنتره

ان كنت ازمعت الفراق فانما زُمتَ ركا بكم بايل مظالم

وعلاصة هذا ان يكون الكلام دالا على ان المخاطب لا يجهل الخبر فانك اذا حدثته عن احواله لا تقصد ان تعلمه بما هو معلوم لديه .

وللكلام في قوة الاثبات والنفي مراتب وضروب بحسب قدر الحاجة في اقناع المخاطب . فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ولا تردد له فيه فلا حاجة الى تقوية الكلام . وان كان المخاطب مترددا في الحكم فالاحسن ان يقوى له الكلام بمؤكد لئلا يصير تردده انكارا كما قال الله تعالى « فقلوا انا اليكم مرسلون » لانهم كذبوا الرسلين الاولين فلما عززا بثالث كان القوم بحيث يترددون في صدقه . وان كان المخاطب منكرا وجب تأكيد الخبر على قدر الانكار نحو « اني لكم نذير مبين » ونحو « انا اليكم لمرسلون » ونحو « ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون » ويسمى الضرب الاول ابتدائيا . والثاني طليا والثالث انكاريا .

وادوات التوكيد إنَّ وأنَّ ولام الابتداء . ولام القسم . والقسم . والحروف الزائدة . وحروف التنبيه . وضمير الفصل ولن النافية هذه في الاسماء وقد واما الشرطية ونون التوكيد في الافعال وقد ينزل المخاطب المستحق لاحد هذه الأضرب منزلة صاحب غيره منها لنكتة فيسمى ذلك اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر قال طرفة

لَعَمْرُكَ إِنََّّ الْمَوْتَ مَا اخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوْلُ الْمُرْخَى وَثِيَاهُ بِالْيَدِ

فاتى بثلاث مؤكدات القسم وان ولام الابتداء لقصد الرد على من كان حاله في لومه اياه على الكرم وتناول اللذات حال من ينكر ادراك الموت اياه مع ان مجيء الموت ولو بعد طول العمر امر معلوم لكل احد

وقد يجيء التوكيد بان لمجرد الاهتمام بالخبر دون انكار كقول النبي صلى الله

عليه وسلم « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا » ومن ذلك ان يكون في الخبر غرابة كالمثل « ان البغاث بارضنا يستنسر » او تهويل نحو « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » لان شان هذين النوعين ان ينكرهما السامع فيؤكد له من قبل حصول الانكار احتياطا ننزيلا له منزلة المنكر

والاسناد نوعان حقيقة عقلية ومجاز عقلي . فالحقيقة العقلية اسناد الشيء الى شيء هو من الامور الثابتة له في متعارف الناس اثباتا او نفيا فالاثبات كقول الصلتان العبدى

أشاب الصغير وافنى الكبير كسر الغداة ومر العشي
لان الشاعر جاهلي وظاهر كلامه يشعر بانه يعتقد ان مرور الزمان هو سبب الشيب اذ لم ينصب قرينة على انه يعلم ان ذلك ليس سببا للشيب . والنفي كقوله تعالى « وما كانوا مهتدين » والمجاز العقلي اسناد الشيء الى غير ما هو له في متعارف الناس اثباتا او نفيا للملاسة بين المسند والمسند اليه . ومعنى الملاسة المناسبة والعلاقة بينهما . فاشهر ذلك ان يسند الفعل الى المتسبب فيه كقول ام زرع « أناس من حلي أذني وملا من شحم عضدي » فان زوجها لما اشترى لها النّوأس لتلبسه في اذنيها فهو قد اناس اذنيها وهذا قريب من الحقيقة ولما افاض عليها الخير والراحة حتى سمتت فقد تسبب في ملاء عضديها بالشحم . وهذا مجاز عقلي للملاسة السببية وهناك ملاسات كثيرة نحو « عيشة راضية » مع ان الراضي صاحب العيشة . ونحو نهر جار مع ان الجاري مأوى وانبت الربيع العشب لان الربيع زمن الانبات . يوما يجعل الولدان شيئا » لان اليوم ظرف للمشييات . « يا هامان ابن لي صرحا » لانه الذي يامر بالبناء . « يوما عبوسا قمطريرا » والنفي كقوله تعالى « فما ربحت تجارتهم » فان نفي الربح لم يتعارف اسنادا للتجارة بل انما ثبت الربح وينفى عن التاجر . وهو محتاج الى قرينة لفظية او معنوية ليفارق كلام البليغ كلام الغالط والهاذي والغبي

عوارض احوال المسند اليه

المسند اليه هو كاسمه ما ضم اليه غيره كما تقوم مثل المبتدأ . والفاعل . ونائب الفاعل . واسم كان . واسم ان . والاصل ان يكون المسند اليه مذكورا في الكلام وقد يحذف اذا دلت عليه قرينة نحو قوله تعالى « فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم »

اي انا عجوز . او لضيق المقام نحو قول رفيق الصياد (غزال) او ليجري اللفظ مجري المثل فيكون موجزا نحو - رمية من غير رام - اي رَمَيْتْكَ هذه .
والاصل في المسند اليه التعريف لان الحكم انما يكون على معروف فيكون المسند اليه معرفة من المعارف الستة المذكورة في النحو . فاذا تعين طريق من تلك الطرق الستة وجب الاقتصار عليه وان امكن الاتيان في تعريفه بطريقتين فصاعدا كما اذا امكن التعبير عنه باسمه العلم او بالوصول وصلته او بالضمير تخير البليغ في ذلك وهو يراعي ما هو انسب فقد يختار تعريفه باسمه العلم لان في الاسم تعظيما مثل معز الدين والرضا او فيه اهانة نحو بولان ويسير فيقصد المتكلم الاشارة الى ان المسمى له حظ من اسمه فلذلك قال الشاعر

❦ وفضل يسير في البلاد يسير ❦

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « عَصِيَّةُ عصت الله ورسوله » (١) او لان في الاسم محبة وابتهاجا بذكره كما قال

بالله يا طبيبات القلاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلي من البشر

فلم يقل ام هي من البشر ليعيد اسمها (٢)

وقد يختار الوصول لان الصلة تشعر بمعنى لا يمكن ان يؤدي بغير الجملة مثل معنى شعار الصلة بالتفخيم في قوله تعالى « فغشيه من اليم ما غشيه » . وكاختيار الوصول على المعرف بأل في قول زهير

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فانه لم يقل : المستسلم مهضوم مثلاً بل اتى بالوصول ليشير بالصلة الى علة الحكم وكاختيار المضاف على الاسم العلم في قوله تعالى « يآيها الناس اعبدوا ربكم »

(١) عصية بطن من بني سليم كانوا كفارا فغدروا ببعض المسلمين يقال لهم

القرءاء في موضع يدعى بشر معونة سنة ٤ من الهجرة

(٢) وقد سبق علماء البلاغة الى التنبيه على ايراد العلم لقصد التلذذ ابو الطيب

المتنبي اذ قال في مدح ابي شجاع عضد الدولة

اساميا لم تزد معرفته وانما لئذ ذكرناها

وقد يؤتى بالمسند اليه نكرة لعدم الداعي للتعريف نحو « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى » فيدل على ان المسند اليه فرد مبهم من جنس . ثم يتوصل المتكلم بذلك الى افادة التعظيم تارة والتحقير اخرى وقد جمعها قول مروان بن ابى حفصة (١) له حاجب عن كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب ويعرف ذلك بالقرينة وسياق الكلام كقول عباس بن مرداس وقد كنت في الحرب ذا تدرا فلم أعط شيئا ولم أمنع اي لم اعط شيئا عظيما بقرينه قوله ولم امنع

ومن اهم احوال المسند اليه حالة تقديمه فان تقديمه وان كان هو الاصل إلا ان المتكلم قد يشير باختيار تقديمه مع تأتي تاخيرته كأن ياتي به مبتدأ مع امكان الاتيان به فاعلا اذا كان الخبر فعلا وكالاتيان به مبتدأ وهو نكرة والخبر ظرف مع ان الاصل حينئذ تقديم الظرف كما في قولهم بقرة تكلمت للاشارة الى ان ذلك للاهتمام بشانه . اما لان فيه فالأ نحو سعد اناك واما للتشويق نحو قول المعري :

والذي حارث البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

يريد حشر الاجساد . ومما التزمت العرب فيه التقديم لفظ مثل وغير في قولهم « مثلك لا ييخل وغيرك لا يوجد » اذا اريد انت لا تبخل وانت تجود فجعل مثل وغير كناية عن المخاطب ويشيرون الى هذا الجعل بالتقديم المفيد للاهتمام اذ لا وجه لهذا الاهتمام الا تنبيهه الى ان المراد بمثل وغير معناهما الكنائي

عوارض احوال المسند

قد عرفت ان المسند هو الكلمة المضمومة الى غيرها لافادة ان مدلولها محكوم به لذلك الغير . فالمسند هو : خبر المبتدا . وفعل الفاعل او نائبه اذا كان الفعل تاما . واسم الفعل . والمبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر لان ذلك المبتدأ في قوة الفعل فلذلك عمل في الفاعل . وخبر كان واخواتها . وخبر ان واخواتها

(١) هو المكنى بابن ابى السمط وهي كنية ابى حفصة لم تشتهر عند الادباء وقد نسب هذا البيت اليه بعنوان هذه الكنية فتوقف في معرفته الكاتبون حتى ان صاحب معاهد التنصيص ترك موضع ترجمته هنا بياضا

وقد نهبك هذا الى المسند قد يكون اسما وقد يكون فعلا فلا جرم انك تتطلب
 الفرق بين الداعي للبليغ ان ياتي بالمسند مرة اسما ومرة فعلا : فاعلم انه ياتي به فعلا
 اذا اراد التقييد باحد الازمنة الماضي والحال والمستقبل على اخصر وجه فيغنيه ان
 يقول قدم صديقك عن ان يقول قدوم صديقك امس فيكون الايتان بالفعل طريقا
 من طرق الايجاز عند ارادة افادة الزمان مع ما في الفعل من افادة كون الوصف
 غير ذاتي للمسند اليه ويزيد المضارع فيدل على تجدد الحصول (١) آنا بعد آن نحو
 « الله يستهزئ بهم » . وياتي البليغ بالمسند اسما عند ارادة عدم التقييد باحد الازمنة
 و ارادة عدم التجدد فقولك زيد منطلق لا تعرض فيه لاكثر من اثبات وصف الانطلاق
 له فهو شبهه حينئذ بالصفات التي لا دلالة لها على شيء من الحدوث نحو زيد طويل مثال
 ذلك قوله تعالى حكاية عن المنافقين « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن
 مستهزون » اشاروا الى ان الاستهزاء بالمؤمنين صفة ملازمة لهم ليست بامر حادث فيهم
 ثم من احوال المسند الفعلي ان يقيد بالشرط على معنى اداة من ادواته المذكورة
 مع معانيها في كتب النحو فلا فائدة في ذكر تفاصيلها في هذا العلم وانما يتعلق الغرض
 ببيان الفرق بين الشرط بيان والشرط باذا كان النحاة اهملوه فانهما مشتركتان
 في الدلالة على اصل التعليق والاستقبال دون زيادة لكن الغالب في الشرط بيان ان
 يدل على عدم اليقين بوقوع الشرط سواء كان مستقرب الوقوع لكن بلا جزم كقوله
 تعالى « وان تؤمنوا وتتقوا يوتكم اجوركم » فان ايمانهم وتقواهم واقعان (٢) او
 كان مشكوكا في وقوعه ضعيف الاحتمال كقول المعري

فان استطع في الحشر آتتك زائرا وهيئات لي يوم القيامة اشغال
 واما اذا فاصلها الدلالة على اليقين بوقوع شرطها نحو « اذا جاء نصر الله والفتح »

(١) اشرت الى ان التجدد ينبغي ان يخص بالمضارع . واما الماضي والحال
 فلا يدلان إلا على كون الوصف غير ذاتي وقد عبروا عن الامرين بالتجدد

(٢) والله يعلم من يؤمن ومن لا يؤمن وانما ابرز الكلام في صورة ما لا جزم
 فيه على طريقة العرب لو تكلموا في مثل هذا المقام لقصد حث المسلمين على الثبات في
 الايمان والتقوى كي يجزم المتكلم بحصولهما منهم

الآية هذا هو الاصل وقد جاء على ذلك قوله تعالى « فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » لان نعم الله على العباد كثيرة والمصائب نادرة (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقد تستعمل ان في مقام اليقين لتنزيل اليقين منزلة الشك كما اذا كان حال المخاطب حال من يشك في الامر اليقين كقول طرفة

الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني ابادرها بما مكنت يدي

وتستعمل اذا مقام عدم اليقين كتصور الامر المحبوب عزيزا وقوعه لشدة تعلق القلب بكشرفته كقول النابغة

اذا تغنى الحمام الورق ذكرني ولو ترحلت عنها ام عمار

واصل المسند التأخير عن المسند اليد . وقد يقدم ليفيد تقديمه قصر المسند اليه على المسند نحو « لا فيها غول » اي ان عدم الغول مقصور على الكون في خمر الجنة وسيأتي في القصر . وقد شاع عند العرب تقديم اسماء الاعداد عند قصد جمع اشياء ليفيد التقديم تشويقا للعدد نحو قوله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلمهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الخ » ونحو « كلمتان حبيبتان الى الرحمن الحديث » ونحو قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم العباسي

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وهذا كله ما لم يكن التقديم لسبب يحتم التقديم في النحو مثل تقديم ادوات الصدر في نحو كيف انت واين اللقاء ومتى الطعن . او لسبب يعرف انه لفظي لا غرض فيه لغير اللفظ مثل التقديم لاجل السجع كقول الحريري في المقامة الثانية « فاذا هو مثافن لتليد . على خبز سميد . وعجل حنيد وقاتلتهما خابية نبيند » فتقديم قوله قبالتهما على المسند اليه لقصد السجع اذ لا يحتمل معنى القصر . واصل المسند التنكير وقد يعرف لاغراض اهمها افادة القصر كما سيأتي في بابه

عوارض احوال متعلقات الفعل

وهي المفاعيل ؛ والظروف ؛ والمجرورات ، والحال ، والتمييز ، واهم ما يتعلق به غرض البليغ هو احوال المفاعيل وخاصةً المفعول به فانه الذي تعرض له احكام الحذف دون غيره من المفاعيل لانه اذا لم يذكر علمنا انه محذوف اذ الفعل المتعدي يطالب مفعوله طلبا ذاتيا ناشئا عن وضع معنى الفعل المتعدي فان الفعل السلازم وضع ليدل على حدث صادر من ذات واحدة والفعل المتعدي وضع ليدل على حدث صادر من ذات ومتعلق باخرى . اما بقية المفاعيل فانها اذا لم تذكر لا يوجد دليل يدل على ان المتكلم قصد ذكرها (١) ثم حذفها وكذلك احكام التقديم انما تغلب مراعاتها في المفعول به

فإذا لم يذكر المفعول به مع فعله المتعدي اليه ولم تكن قرينة على تقديره فيحذفه حينئذ قد يكون لظاهر ان لا غرض بتعليق ذلك الفعل بمفعوله فينزل الفعل حينئذ منزلة اللازم بحيث يكون النطق به ليس الا لقصد الدلالة على اصل معناه الحديثي اذا لم يجد المتكلم فعلا آخر يدل على ذلك المعنى او لم يستحضره فحينئذ لا يقدر لذلك الفعل مفعول نحو « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول البحثري يمدح المعتز بالله العباسي

شجـو حـسـادـة وغيـض عـداة ان يرى مبصر ويسمع واعى

فلم يذكر مفعول يرى ويسمع لانه اراد أن يوجد راء وسمع فلا غرض لمعرفة مفعول . والمعنى ان الرائي لا يرى إلا آثار الخليفة الحسنى والسماع لا يسمع إلا ثناء . وقرينة ذلك قوله شجو حسادة . لان ذلك هو الذي يشجو حسادة ويغيض عداة

(١) اي لا يوجد دليل من جهة نفس اقتضاء الفعل لواحد منها وان كان قد يوجد دليل لفظي مثل وقوع الفعل في جواب سؤال مقيد ببعض تلك المفاعيل الا ان المقدر كالمذكور كقول الشاعر

اتصحو ام فؤادك غير صاح عشية هم قومك بالرواح

فانك لو قدرت له جوابا فقلت نعم اصحو لكان التقدير اصحو عشية هم قومي

وقد يكون الحذف لقصد التعميم مثل « والله يدعو الى دار السلام » اي يدعو كل احد وانما قلنا آنفا « ولم تقم قرينة على تقديره » لانه ان كان المفعول مقدرًا منوي اللفظ فهو كالمذكور والقرينة اما من نفس الفعل بان يكون مفعوله معينًا لانه لا يتعدى إلا اليه كقول عمرو بن معديكرب

فلو ان قومي انطقني رماحهم نطقْتُ ولكنَّ الرماحَ أجرتِ

فان فعل اجر معناه شق اللسان فمفعوله متعين . واما بان يكون عليه قرينة لفظية وهو كثير .

واما تقديم المفعول وما بمعناه كالجار والمجرور والظرف فقد يكون للحصر نحو « اياك نعبد » وفي الحديث الصحيح « ففیهما فجاهد » يعني الابوين (١) وهو كثير في كلامهم . وقد يكون لمجرد الاهتمام نحو « واما ثمود فهديناہم » في قراءة النصب وقد يكون لغرض لفظي كالسجع والفاصلة في نحو « ثم الجحیم صلوة . ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه » .

القصر (٢)

القصر تخصيص حكم بمحكوم عليه بحيث لا يثبت ذلك الحكم لغير ذلك المحكوم عليه . او تخصيص محكوم عليه بحكم بحيث لا يتصف ذلك المحكوم

(١) لان السائل طلب منه ان يوجهه للجهاد فقال له الك ابوان قال نعم قال ففیهما فجاهد . وكانا كبيرين

(٢) القصر مع كونه بابا له . مباحث مهمة في علم البلاغة هو ايضا له تعلق كبير بالابواب الثلاثة التي مضت فان الاسناد والتعلق يتكيفان بالقصر في بعض الاحوال فكانت مسائل القصر تجري في المسند اليه وفي المسند وفي متعلقات الفعل وشبهه اعني المفاعيل والحال والظرف والتمييز والموصوف والصفة ولذلك اخر بابہ عن الابواب الماضية لكونه ليس اشد تعلقا بواحد منها منه بالآخر . مثال قصر الحال على صاحبها والعكس ما جاءني راكبا إلا زيد وما جاءني زيد إلا راكبا . ومثال قصر التمييز ما طاب زيد إلا نفسا وما طاب نفسا إلا زيد

عليه بغير ذلك الحكم بواسطة طريقة مختصرة تفيد ذلك التخصيص قصدا للإيجاز
فخرج من بقولنا بواسطة طريقة مختصرة الخ نحو قول السموأل

تسيل على حد الطبات نفوسنا وليست على غير الطبات تسيل

فان هذا المثال اقتضى تخصيص سيلان النفوس اي الدماء بالكون على حد
الطبات لكن ذلك ليس مدلولاً بطريقة مختصرة بل بجملتي اثبات ونفي
والمراد بالحكم والمحكوم عليه الامر المقصود قصرة او القصر عليه سواء كان
احد ركني الاسناد نحو « ما محمد إلا رسول » ام كان متعلقاً احدهما كالمجرور
المتعلق بالمسند في قول كعب بن زهير

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

فقصر وقوع الطعن على الكون في نحورهم وكالحال المخصصة للمسند اليه
نحو : انما الشاعر زهير راغبا ، اذا اردت قصرا ادعائيا في حالته هذه (لقولهم :
زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وغنتره اذا ركب) .
وكالظرف في قول عمر بن ابي ربيعة

فقلت والقت جانب السّتر انما معي فتحدث غير ذي رقة اهلي

اي انك لا تتحدث الآن الا معي فقل ما شئت ، فالخصوص بشيء يسمى مقصورا
والخصوص به شيء يسمى مقصورا عليه والمقصور هو الذي لا يتجاوز المقصور عليه
لغيره والمقصور عليه هو الذي لا يشاركه غيره في الشيء المقصور . فالاختصاص
والحصر مترادفان .

والقصر اما قصر موصوف على صفة بمعنى ان لا يتجاوز الموصوف تلك
الصفة الى صفة اخرى . واما قصر صفة على موصوف والمراد بالصفة والموصوف هنا
الحكم والمحكوم عليه لا الصفة المعروفة في النحو .

وطرق القصر ستة وهي : النفي مع الاستثناء . وانما . والتقديم لما حقه
التاخير من مـ . ـند ومفعول ومعمول فعل . والعطف بلا وبل ولكن . او ما يقوم مقام
العطف من الدلالة على الاستدراك باثبات بعد نفي او عكسه . وتعريف المسند .
وتوسيط ضمير الفصل . وهذه امثلتها على الترتيب : قول لبيد

واما المرء الا كالشهاب (١) وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
 وقوله تعالى « انما حرم عليكم الميتة » . وقوله تعالى « لكم دينكم ولي دين »
 وقوله تعالى « اياك نعبد » وفي ذلك « فليتنافس المتنافسون »

ومثال طريق العطف ولكن بعد الواو قبوله تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا
 نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » وكذا قوله تعالى « من كفر بالله من بعد ايمانه
 الا من اكرهه وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من
 الله » فهو قصر بعد قصر لان قوله « الا من اكرهه » اخرج المكروه من الكافر ثم
 اخرج منه من شرح بالكفر صدرا فالتقدير من كفر بالله مكرها لا غضب عليه
 ولكن من شرح بالكفر صدرا . واعلم ان هذه الآية فيها ثلاثة طرق من طرق
 القصر . ومثال العطف بلا « اللهم حوالينا ولا علينا » فالواو زائدة والمعنى لا تنزل
 المطر الا حوالينا

واما طريق تعريف المسند فاعلم ان التعريف الذي يفيد القصر هو التعريف
 بلام الجنس فاذا عرّف المسند بها افاد قصر الجنس على المسند اليه نحو « انت الحبيب »
 قصر تحقيق و « هم العدو » قصر ادعاء « والحزم سوء الظن بالناس » قصر قلب
 « ان شائتك هو الا بقر » كذلك

واما توسط ضمير الفصل فنحو « الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده »
 ونحو « كنت انت الرقيب عليهم » و « ان ترن انا اقل منك مالا وولدا » وضمير
 الفصل هو ضمير يتقدم على الخبر ونحوه . ولا يفيد اكثر مما افادته النسبة لعدم
 الحاجة اليه في ربط

واعلم ان طريق النفي والاستثناء وانما والعطف بلا وبل ولكن ؛ متعينة للقصر .
 واما التقديم وتعريف المسند والفصل فقد تكون للقصر وقد تكون لغيره ولكن
 الغالب كونها للقصر فيستدل عليه منها بمعونة القرائن في المقام الخطابي

(١) المراد بالشهاب قوس النار ومعنى يحور يرجع كقوله تعالى « انه ظن

ان لن يحور »

والقصر نوعان حقيقي واخفاء لان التخصيص لشيء بشيء ان كان مبنيا على انه كذلك في الواقع ونفس الامر فهو القصر الحقيقي . وان كان مبنيا على النظر لشيء آخر يقابل الشيء المخصص به فقط لا بطل دخول ذلك المقابل فهو قصر اضافي تدل عليه القرينة . فالاول كقولك انما الخليفة فلان . والثاني كقولك انما الكاتب زيد اي الا عمرو ردا على من زعم ان عمرا كاتب ولا تريد ان زيدا هو الكاتب في الارض او في البلد دون غيره والحزم سوء الظن بالناس اي ليس حسن الظن بحزم ولم يرد ان الحزم كله في سوء الظن . ومن القصر الحقيقي ما يسمى بالادعاء وهو ان تدعي قصر الصفة على الموصوف لقصد المبالغة نحو قوله تعالى « ان يدعون من دونه الا انا » مع انهم دعوا هبل ويغوث ويعوق لكنهم لما اكثروا دعوة اللات والعزى ومناة جعلوا كالذي لا يدعوا الا انا . وقوله في حق المنافقين « هم العدو فاحذرهم » مع ان المتظاهرين بالشرك والكفر اعداء لكن لما كانت مضرة عداوة المنافقين اشد جعلت عداوة غيرهم كلا عداوة

الانشاء

الكلام كله اما خبر او انشاء . فالخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب بان يكون للنسبة المعنوية التي تضمنها الكلام خارج اي وجود في نفس الامر يوافقها تارة ولا يوافقها اخرى . فان وافقها الخارج فهي صادقة وان خالفها فهي كاذبة لان الخبر يقصد منه حكاية ما في الوجود الخارجي فلا جرم لزم عرض نسبه على ما في الخارج . فان نشأ عن ذلك العرض علم بانها مطابقة للخارج المحكي فهي صادقة او علم بانها غير مطابقة بل هي مخالفة للخارج فهي كاذبة .

والانشاء الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لانه لم يقصد منه حكاية ما في الخارج بل هو كاسمه احداث معنى بالكلام لم يكن حادثا من قبل في قصد المتكلم . وكل ما تقدم من الاحكام في الابواب الماضية يجري في الخبر والانشاء فلا غرض لذكر باب يخص الانشاء هنا الا للتنبيه على الفرق بينه وبين الخبر وللإشارة الى احكام قليلة بلاغية تختص بالانشاء .

ينقسم الانشاء الى قسمين طلي وغير طلي . فالطلي هو الامر . والنهي .

والاستفهام . والتمني . والترجي . والنداء . وغير الطلبي . القسم . والتعجب .
وانشاء المدح والذم نحو نعم وبئس . وانشاء الوجدانيات كالتحسر والفرح والترحم .
وصيغ العقود نحو ابيع واشهد . والاجوبة الدالة على الامتثال كجواب النداء نحو
لبيك وسمعا وطاعة . وصيغها وادواتها واحكامها مقررة في النحو . وانما الذي يهم
البليغ من احوال الانشاء مسائل :

الاولى - قد ياتي الانشاء في صورة الخبر وهو ما يعبرون عنه بالخبر المستعمل
في الانشاء مثل استعماله في الدعاء في نحو « رحمه الله » . وفي الطلب نحو قول
الظمئان إني عطشان . والتحسر نحو قول جعفر بن عتبة الحارثي
هوأي مع الركب اليمانين مُصْعِدُ جَنِيبٍ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مَوْثِقُ
والسؤال نحو « رب اني لما انزلت الي من خير فقير »
الثانية - يستعمل بعض صيغ الانشاء في بعض فيجيء الامر للتمني نحو قول
امريء القيس

الاياها الليل الطويل الا انجلِ بصبح وما الاصبح منك بامثلِ
فقوله انجلِ تَمَنَّ . وللتعجب نحو قوله تعالى « انظر كيف ضربوا لك الامثال »
ويجيء الاستفهام للنهي نحو « اتخشونهم فالله احق ان تخشوه » . وللامر نحو
« فهل انتم منتهون » . وللتعجب نحو « وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام » .
ويجيء النداء للتعجب في باب الاستغاثة نحو قول امريء القيس

فيا لك من ليل كَأَنَّ نجومه بكل مُغار الفتل شدت ببيدُبُ
(تنبيهه) هذه الاستعمالات المذكورة في المسألتين من قبيل المجاز المركب
المرسل . والعلاقة العامة في جميعها هي اللزوم ولو بعيدا . وقد تتطلب لبعض
استعمالاته علاقات اخرى بحسب المواقع .

المسألة الثالثة - قد تستعمل صيغ الانشاء في مَنْ حاله غير حال من يساق اليه
ذلك الانشاء كأمير المتلبس بفعل بان يفعله نحو « ياايها الذين آمنوا آمنوا » ، وكنهي من
لم يتصف بفعل عن ان يفعله نحو « ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون »

والقصد من ذلك طلب الدوام . فينزل المتصف منزلة غير المتصف تحريضا على الدوام على الانصاف . وكنداء المقبل عليك نحو قولك للسامع يا هذا . ونداء من لا ينادى بتزيله منزلة من ينادى نحو « يا حسرة على العباد » اي احضري فم اذا موضعك . وهذه مجازات ظاهرة وتفريعا سهلا

هذا نهاية القول في الابواب المختصة بذكر الاحكام البلاغية التي تعرض للفردات في حال تركيبها . ومن الاحكام ما هو عارض للجمل المؤتلف منها الكلام البليغ تفريعا وجمعا وتطويلا واختصارا . وقد خص لذلك بابان : باب الوصل والفصل وباب الايجاز والاطناب والمساواة . وها انذا شارع فيهما اكمالا لابيواب علم المعاني .

الوصل والفصل

الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه . وحق الجمل اذا ذكر بعضها بعد بعض ان تذكر بدون عطف لان كل جملة كلام مستقل بالفائدة الا ان اسلوب الكلام العربي غلب فيه ان يكون متصلا ببعضه ببعض بمعمولية العوامل والادوات او بالاتباع او بالعطف (١) فلا تذكر جمل الكلام ولا كلماته تعدادا الا في المواقع التي يقصد فيها التعداد نحو قوله « فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة » او في

(١) فان الكلمات المجتمعة انما يجمعها معنى عامل نحو كتب زيد الكتاب وكسوت زيدا حبة واخبرت زيدا قائما وكذلك بالادوات نحو مررت بزید ، فان انتهت قوة العامل اي اخذ من المعمولات ما يقتضيه معناه توصل الى غير ذلك بالاتباع من نعت او بيان او بدل وهذه التوابع هي في الحقيقة عين المتبوع في المعنى اما طريق توصل العوامل لما هو اجنبي عن معمولاتها فذلك منحصر في طريق عطف النسق فانك اذا اردت ان تعدي كسا مثلا لاكثر من مفعولين لم تجد مسلكا لذلك الا العطف فنقول كسوتك حبة وبرسا وقميصا فلا جرم كان عطف النسق هو الذي يجمع الكلمات الاجنبية بعضها عن بعض في المعنى والبعيد بعضها عن ان يصل اليه عمل العامل . ومثل ما قيل في المفردات يقال في الجمل بل الجمل للعطف احوج لان اكثرها اجنبي بعضه عن بعض اذ الاصل في الجمل الاستقلال ولذلك لقب عطفها

حكاية المجاورات نحو « قالوا سلاما قال سلام » وقولنا سئل فلان اجاب (١) او املاء الحُسبان نحو واحد اثنان او قصد اظهار انفصال الجمل واستقلالها كقوله تعالى « انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون . يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون » . او في مواقع الفصل الآتية :

فعطف الجمل إما بالواو المقتضية لاصل التشريك في الحكم المتكلم فيه . واما بحرف آخر يدل على معنى زائد على التشريك او على ضد التشريك اذا وجد معنى ذلك الحرف نحو الفاء وحتى وأو وبل وهذا الاصل الذي اشرت اليه يُعدل عنه لاحد امرين : لما منع يمنع منه او لشيء يغني عنه .

ثم شرط صحة العطف مطلقا في المفردات والجمل وبالواو وبغيرها وجود المناسبة التي تجمع الجملة المعطوفة والجملة المعطوفة عليها في تعقل العقول المنتظمة بحسب المتعارف (٢) عند المتكلمين بتلك اللغة وهاته المناسبة لا تعدو التماثل او التضاد او القرب من احدها نحو زيد يكتب

بالوصل لان له مزيد اثر في الربط لشدة تباعد الجملتين . ثم اعلم ان مسائل الفصل والوصل الغرض منها معرفة اساليب العرب في ربط جمل الكلام حتى يجي المتكلم بكلام لا يوقع فهم السامع في لبس . ولذلك كان حق مسائل هذا الباب ان تكون اعلق بعلم النحو اذ ليس فيها ما يفيد خصوصيات بلاغية غير ان الذي دعا علماء البلاغة الى ذكرها في هذا الفن امور ثلاثة : احدها ان النحاة تكلموا على احكام العطف ولم يتكلموا على احكام ترك العطف . ثانيها انهم تركوا كثيرا من مسائل المناسبات . ثالثها انه لما كان العطف وتركه قد يلاحظ فيهما امور ادعائية في الشعر والخطابة ناسب ان يذكر مع خصوصيات علم المعاني (١) ومنه قول الشاعر :

قال لي كيف انت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

(٢) سياقي بعيد هذا ما يبين المراد من قولي « المنتظمة بحسب المتعارف »

ويشعر . « والسماء رفعها » الى قوله « والارض وضعها للانام » (١) بخلاف نحو زيد يكتب وينام . ويعطي وينظم الشعر . وخرجت من السوق وابدع امرؤ القيس في شعره . وان كان كل ذلك كلاما صادقا حتى كان العطف في المقام الذي لا توجد فيه المناسبة مؤذنا بمقصد كمقصد التشبيه في قول كعب « ان الاماني والاحلام تضليل » . فان الكلام على مواعيد سعاد وامانيها ولا كلام على الاحلام فلها عطف الاحلام على الاماني علما انه قصد تشبيه امانيه الناشئة عن دعواها بالاحلام في اللذادة وعدم التحقق وهذا وجه الاحتراز فيما مضى بقولي « المنتظمة بحسب المتعارف » وقد يكون التناسب موهوما ومجرد دعوى في المقامات الشعرية واللطائف كقوله

ثلاثة تشرق الدنيا بهيجتها شمس الضحى وابواسحاق والقمر

وقد يكون التناسب غريبا نابعا لتناسب شيئين آخرين كقوله تعالى « والنجم والشجر يسجدان » فان التناسب او جده ما ياتي بعده من قوله « والسماء رفعها » وقوله « والارض وضعها » لان النجم من توابع السماء والشجر من توابع الارض ثم يكفي في هذه المناسبة التقارن في الغرض المسوق له الكلام ولهذا كان العطف بالفاء وثم وحتى اوسع في هذه المناسبة المشروطة . لان الترتيب او المهلة او الغاية كلها مناسبات كافية لتصحيح العطف لانها دالة على التقارن في الوجود . وهذا التقارن مهيء للمناسبة ومسوغ للعطف لكنه يزاد حسنا اذا قوي التناسب ولذا كان اصل الفاء التفريع ما لم تبعد المناسبة . الا ترى كيف حسن العطف في قول عمرو بن كلثوم :

نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا (٢)

(١) فقوله - زيد يكتب الخ - مثال للتماثل . وقوله - يعطي ويمنع - مثال للتضاد وقوله والسماء رفعها « الآية مثال لشبه التضاد . ويجمع امثلة القرب من التماثل والتضاد قوله تعالى « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » الآية

(٢) هذا تهكم اي نزلتم بارضنا لحر بنا فبادرنا بقتالكم . فجعل نزولهم ضيافة وقتاله اياهم قرى . فلما عبر عن المعنيين المتناسين في الحقيقة بمعنيين مجازيين متناسين وكانا مترتين في الوجود حسن العطف بالفاء ولو غير احدهما لقبح العطف . فلو

وكيف يقبح العطف بالفاء لو قلت جاء زيد فصفعوه ، ويزيد قبحا لو قلت جاء
زيد فنهق الحمار لبعده المناسبة (١) وكيف يحسن ان تقول طلع الفجر فأذن المؤذن .
وقول ابن زمر

هَبَّ النسيم على الرياض مع السَّحَرِ فاستيقظت في الدَّوحِ أجفان الزَّهرِ

ويكون دونه حسنا - طلع الفجر فصاح الديك - وكيف يقبح ان تقول طلع الفجر
فاستيقظ زيد اذا لم يكن الحديث قبل ذلك على زيد

اذا تحققت هذا فاعلم انه يتعين الوصل اذا اريد تشريك الجملة المعطوفة
للجملة المعطوف عليها في حكمها في الاعراب كعطف الجملة المعمولة لعامل واحد
بعضها على بعض (٢) او التشريك في حكمها في المعنى وان لم يكن للمعطوف عليها
محل من الاعراب

والمراد من الحكم الكيفية الثابتة لمفهوم الجملة المعطوف عليها مثل حكم
القصر في قوله تعالى « انما انت منذر ولكل قوم هاد » فقد عطف جملة « ولكل قوم
هاد » على جملة انما انت منذر لان المقصود تشريكها في حكم القصر . اذ المقصود
من الجملتين الرد على من اعتقد خلاف ذلك (٣) وليس للجملتين محل من الاعراب
ويتعين الفصل اذا اريد التنبيه على ان الجملة الثانية منقطعة عن الاولى اي غير

قال - نزلتم الخ فقاتلناكم ان تشتمونا - لكان ترتبا غريبا قبيحا . ولو قال - نزلتم
منزل الاعداء - منا فقاتلنا القرى الخ - لكان قبيحا كذلك

(١) لان الصفح لا يترقب حصوله اثر المجيء لكنه لتعلقه بزيد كان فيه رائحة
مناسبة فكان قبحه اضعف من قبح المثال الذي بعده

(٢) شرط هذا العامل ان يفيد حكما معتبرا فلذلك تعتبر الجملة المحكية
بالقول كانها لم يجمعها عامل اعرابي فلا يعطف الثانية منها على الاولى وانما تاخذ
حكم الجملة حين نطق بها قائلها . الا اذا اريد التنبيه على تكرار القول نحو
« وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » اذا جعلنا الواو للعطف في المقول

(٣) اي الذين اعتقدوه انه غير منذر وكذبوه والذين اعتقدوا انه لا رسول
الا الرسل الذي مضوا او اعتقدوا انه لا رسول بعد موسى عليه السلام

مشاركة لها لا في الحكم الاعرابي نحو قوله تعالى « قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزى بهم » لم تعطف جملة « الله يستهزى بهم » لئلا يظن السامع انها من قولهم . ولا في مجرد الحكم المعنوي حيث لم يكن اعراب نحو قوله تعالى « انما انت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل انثى » لم تعطف جملة الله يعلم لانه لم يقصد دخولها في حكم القصر اذ لا قصد للرد على معتقد ان الله لا يعلم ما تحمل كل انثى اذ لم يكن في المخاطبين من المشركين واهل الكتاب من يعتقد ذلك . وكذا قولهم — مات فلان رحمه الله — فلو عطف — رحمه الله — لظن ان الجملة الدعائية اخبار عن فعل الله معه .

فالفصل في هاته الامثلة كلها لاجل انقطاع الجملتين بعضهما عن بعض كما رايت .

ويتعين الفصل ايضا اذا كانت الجملة الثانية عين الاولى في المعنى او في محصل الفائدة لان العطف يقتضي المغايرة : فالتى هي عين الاولى في المعنى نحو قول الشاعر الذي لم يعرف .

اقول له ارحل لا تقيم عندنا والا فكن في الجهر والسر مسلما
فان معنى لا تقيم هو ما يفيدة معنى قوله ارحل . فكانت الجملة الثانية كبديل الاشتمال من الاولى (١) والتي هي عين الاولى في محصل الفائدة مثل المؤكدة نحو « ذلك الكتاب لا ريب فيه » فجملة لا ريب فيه مؤكدة لمعنى ذلك الكتاب

ومن انواع الوصل عطف طائفة من الجمل على مجموع طائفة اخرى بحيث تعطف قصة على قصة او غرض على غرض في الكلام فلا تلاحظ الا المناسبة بين القصة والقصة والغرض والغرض لا بين اجزاء كل من القصتين حتى اذا وليت الجملة الاولى من القصة المعطوفة احدى جمل القصة المعطوف عليها لا يتطلب وجه لتلك الموالاة لانها موالاة عارضة . وهذا نحو عطف قوله تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات الخ على قوله تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا »

(١) وكذلك قوله تعالى « فوسوس اليه الشيطان قال يئام » الآية فان جملة

-- قال يئام -- بيان للوسوسة فكانت كعطف البيان فلم تحتج للربط

لان قوله - وان كنتم في ريب - مسوق لبيان عقاب الكافرين وقوله - وبشر - مسوق لبيان ثواب المؤمنين ، ونظيره من عطف المفردات قوله تعالى « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » فانه لو قصد عطف الظاهر على الآخر لم يحسن وانما القصد عطف وصفين متقابلين على وصفين متقابلين وكلها الموصوف واحد .

عطف الانشاء على الخبر وعكسه منع بعض علماء العربية عطف الانشاء على الخبر وعطف الخبر على الانشاء والحق ان ذلك ليس بممنوع وهو كثير في الكلام البليغ وقد قال الله تعالى « واذكر عبدنا داوود ذا الایدانه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب » عطف - وهل اتاك على أخبار داوود -

وأعلم انه قد يخالف الظاهر فيؤتى بالوصل في مقام الفصل وبعكسه لقصد دفع إيهام ينشأ عن ارتكاب مقتضى الظاهر كما جاء الفصل في قول الشاعر الذي لم يعرف :

وتظن سلمى أنني ابغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم

كان الظاهر عطف جملة - اراها - لكنه فصلها لئلا يتوهم السامع ان ذلك مما تظنه سلمى فالوصل سبب منع منه مانع .

وكما جاء الوصل في نحو قولهم (لا وايدك الله) فان الظاهر الفصل لان الجملتين غير مشتركين في الحكم (١) ضرورة ان احدهما خبر والاخرى انشاء فقد وجد مانع الوصل ولكنه خلفه مقتض اذ لو فصل لتوهم الدعاء بنفي تاييده

هذه معاهد احوال الفصل والوصل وفي وجوه الاتصال والانفصال المرتب

(١) حكى الادباء ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر برجل في يده ثوب فقال له ابو بكر : اتبيع هذا الثوب ؟ قال لا رحمك الله . فقال ابو بكر « قد قومت السنةكم لو تستقيمون لا تقل هكذا قل رحمك الله لا . وقيل قال له قل لا ورحمك الله .

عليهما الوصل والفصل تفاصيل واعتبارات دقيقة يجب ارجاؤها لكتب مرتبة ارقى من هذه (١)

الايجاز والاطناب والمساواة

الاصل في الكلام ان يكون تادية للمعاني بالفاظ على مقدارها اي بان يكون لكل معنى قصده المتكلم لفظ يدل عليه ظاهر أو مقدر (٢) وتسمى دلالة الكلام بهاته الكيفية مساواة لان الالفاظ كانت مساوية للمدلولات فاذا نقصت الالفاظ عن عدد المعاني مع ايقائها بجميع تلك المعاني فذلك الايجاز مثل الحذف لما شأنه ان يذكر في كلامهم اذا قامت القرينة ومثل توخي لفظ يدل على مجموع معان اذا كانت الغالب في الكلام الدلالة على تلك المعاني بعدة الفاظ . فقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللّٰهَجُ

مساواة . وقول سلم

من راقب الناس مات كمدا وفاز باللذاة الجسور

ايجاز . واذا زادت الالفاظ على عدد المعاني مع عدم زيادة المعاني فذلك الاطناب مثل التوكيد اللفظي والتكرير وذكر الخاص بعد العام والتفسير نحو « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا » الخ . ومثل قوله

(١) مسائل الفصل والوصل من اصعب مسائل فن البلاغة لكثرة ما فيها من التفاصيل التي يعسر ضبطها بقاعدة تجمعها ولقد فرعها السكاكي تفريعا زادها صعوبة . وانا خالفت طريقته وطريقة التلخيص في هذه الرسالة فابتدت الباب بما يفتح بصائر المتعلمين في تمييز خليطها واقتضبت في خلال ذلك من مهم كلام القوم ما يمكن بايدي الطلبة مفاتيح معاقدها وضربت صفحا عما عدا ذلك تاركا اياه الى ان تنهيا الافهام بعد هذه المرتبة

(٢) لان ما كان اسلوب كلامهم على تقديره كالضمير المستتر في فعل الامر وكحذف المستثنى منه في الاستثناء المفرغ يعتبر كالمذكور فلا يعد حذفه ايجازا

الأملي الذي يظن بك الظن من كان قد رأى وقد سمعا
ومبنى كلام العرب على الإيجاز ما وجدوا إليه سبيلا لان الأمة العربية أمة ذكية
فابتنى كلامها على مراعاة سبق افهامها (١) فقول المبرد في كامله « من كلام العرب
الإيجاز المفهم والاطناب المفخم » تنويع للكلام لا قصد للتساوي بينهما ، وكلها تجري
على حسب مقتضى الحال .

أما المساواة فنحو قوله تعالى « ولا يحق المكر السيء إلا بأهله » والإيجاز
يكون إيجاز حذف وإيجاز اختصار أو قصر (بكسر القاف وفتح الصاد) فإيجاز
الحذف كحذف المسند إليه والمسند والمفعول والتحذير والاعراء . وحذف المفعول
أكثر أنواع الحذف في الإيجاز نحو قد كان منك ما يسوء أي كل واحد ونحو « والله
يدعو إلى دار السلام » وحذف المضاف نحو « وأسأل القرية » وحذف الصفة نحو
« فاردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة » أي صالحة . وحذف الجملة
أو الجمل التي يدل عليها السياق نحو « ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق » أي
فضرب ونحو « فأسلّون يوسف أيها الصديق » . أي فأسلّوه فقال . وكثير من
أمثال العرب يشتمل على إيجاز حذف

وإيجاز الاختصار أداء المعاني بالفاظ أقل منها عددا دون حذف بل
بتوخي ما يفيد من الالفاظ عدة معان نحو قولهم في المثل « القتل أنفى للقتل »
وقوله تعالى « ولكم في القصص حياة » وقوله في الحديث « ليكن ثوبك إلى الكعبين
فانه أنقى وأبقى » وقول المعري : (أولو الفضل في أوطانهم غرباء) أراد ان يقول
انهم مخالفون لأحوال عامة الناس كما بينه في بقية البيتين (٢) .

(١) أي إذا منع منه مانع المقام كمقام خطاب الغبي ومقام التهويل فكلهما
مقام اطناب . (٢) تمام البيتين ❀ تشد وتنأى عنهم القرباء

فما سبأوا السراح الكمية للذة ولا كان منهم للخيراد سباء

وكثير من امثال العرب يشتمل على ايجاز الاختصار وكذلك حكم الحكماء .
 واما الاطناب فبالتركيز في مقام التهويل نحو « ويل يومئذ للكذابين » في سورة
 المرسلات ونحو (قربا مربوط النعامة مني) في قصيدة الحرث بن عباد . من ابطال
 حرب البسوس . وكنحو ذلك .

واعلم ان الاطناب والايجاز قد يطلقان على التوسع في الغرض المسوق له
 الكلام والاقتصاد فيه فيعد من الاطناب الاتيان بالجملة المعترضة او كثرة البيان
 والايضاح . ومن الايجاز ترك المقدمات في الخطب لضيق المقام ونحوه (١) وتعلق
 هذا النوع بفن البلاغة ضعيف بل هو من مباحث صناعة الانشاء (٢)

فن البيان

هو علم به يعرف البليغ كيفية ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح
 الدلالة على حسب مقتضى الحال فتلك الطرق هي : الحقيقة . والمجاز . والتشبيه .
 والتصريح . والكناية .

التشبيه

هو من الحقيقة ولكنه لكثرة وروده في كلام البلغاء وشدة عنايتهم به منذ حفظ
 الشعر العربي استحق التخصيص بالتبويب واستحق التقديم على المجاز لتوقف بعض
 انواع المجاز عليه . فالتشبيه الدلالة الصريحة على الحاق شيء بشيء في وصف اشهر فيه
 الملحق به تقريبا لكمال الوصف المراد التعبير عنه كقولك هذا الفرس كالطائر في

(١) كقول ابي العاصي الثقفي لشقيف حين هموا بالارتداد عام الردة « كنتم
 اخر العرب اسلاما فلا تكونوا اولهم ارتدادا » وكذلك يرتكب الايجاز في
 الغرض لقصد ان يعي السامع الكلام كما كتب البديع لابن اخته « انت ابني ما دمت
 والعلم شانك . والمدرسة مكانك . والمجبرة حليفك . والدقتر اليك . فان قصرت
 ولا إخالك . فغيري خالك »

(٢) فيه تعريض بمن ذكر بعضه في فن المعاني كصاحب التلخيص

سرعة المشي (١) والمراد بالصريحة ما كانت بلفظ دال على اللاحق ملفوظ او مقدر .
وخرج به الاستعارة والتجريد

وأركانهم أربعة : طرفاه : وهما المشبه والمشبه به ووجهه : وهو ما يشترك
فيه الطرفان . واداته : وهي ما يدل على اللاحق . أما الطرفان فقد يكونان
حسيين وهو الغالب . وقد يكونان عقليين كتشبيه العلم النور والسيوف بانياب
الاغوال . وأما وجه التشبه فهو ما يتوهمه المتكلم وصفا جامعا سواء كان ثابتا في
نفس الامر كالشجاعة في الاسد ام كان ثابتا في العرف كتشبيه العجوز بالسعلة وتشبيه
المعاقب على ذنب غيره بسبابة المتنم حين يعرضها في قول ابن شرف القيرواني
(المتوفى سنة ٤٩٠)

غيري جنى وانا المعاقب فيكم فكانني سبابة المتنم
ام كان ثابتا في الوهم والخيال كتشبيه النجوم في الظلام بالسنن في خلال
الابتداع في قول القاضي التتوخي (المتوفى سنة ٣٤٢)
وكأن النجوم بين دجها سنن لاح بينهن ابتداع
والاكثر حذفه في الكلام وقد يذكر لحفائه
واداته الكاف . وكأن . ومثل . وشبه . ومثل . ونحوها وهي اما ظاهرة
نحو هو كالبحر وكلامه كالدر . او مقدرة نحو هو اسد وقوله تعالى « صم بكم عمي »
ويسمى بالتشبيه البليغ وليس باستعارة على اصح القولين

(١) انما زدت قيد الصريحة في تعريف التشبيه لاجراج ما دل على مشاركة
امر لامر في وصف دلالة غير صريحة وذلك انواع الاستعارة . لان صورة
الاستعارة لا تنبئ بالمشاركة بل هي اثبات الوصف لمن ليس متصفا به وانما يعلم قصد
التشبيه بالقرينة كما ياتي وخرج ايضا التجريد الآتي في فن البديع فلا حاجة الى ما
اطال به صاحب التلخيص . كما اننا عدنا عن لفظ المشاركة الواقع في التلخيص لئلا
يورد نحو تضارب

واعلم ان وجه الشبه اذا كان وصفا منتزعا من امرين فاكثر سمي ذلك التشبيه
تشبيها التمثيل سواء كان طرفاه مركبين كقول بشار

كأن مُشار النَّقَّع فوق رؤوسنا واسياقنا ليل تهاوى كواكبه (١)

ام كان احدهما او كلاهما مفردا كقول النابغة

لُكَلِّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرْكَةً كَذِي الْعُرِّ يَكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ

فانه شبه نفسه بالبعير المكوي لمرض غيره لان ذلك هو المقصود كما شبه

المرا بذى العرو وكلا المشبهين مفرد والمشبه به الهيئة وتركب الطرفين معا يستلزم
تركب وجه الشبه .

ويسمى بالتشبيه البليغ ما حذفت اداته فصار المشبه به خبرا عن
المُشَبَّه نحو وجهك البدر

في قول :

وَجْهَكَ الْبَدْرُ لَا بَلَّ الشَّمْسُ لَوْ لَمْ تُقْضِ لِلشَّمْسِ كَسْفَةٌ وَأَفُولٌ

او صار حالا نحو والسماء بناء ومنه قول ابي الطيب

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطُ بَابٍ وَفَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَنْتْ غَزَالًا

او مضافا الى المشبه نحو تمر مر السحاب ونحو ذهب الاصيل ولجئ الماء .

في قول شاعر لم يعرف :

وَالرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْفُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لَجْيَيْنِ الْمَاءِ

وقد يعكس التشبيه ادعاء كقول محمد بن وهيب :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غَرَّتْهُ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقد يحذف المشبه به فيكون التشبيه مكنيا ويشار اليه ببعض ما هو

من خصائص المشبه به كقول النابغة

فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَّشْنَ لِي هَرَّاسًا بِهِ يُعَلَّى فَرَّاشِي وَيُقَشَّبُ

فالمشبه به هو المريض الذي يشتد ألمه بالليل وقد حذفه وأشار إليه بالعائدات لان المقصود تشبيه نفسه لا تشبيه العوائد وانما جاء بذكر فرشني لي زيادة في تهويل آلامه . وهذا النوع هو الذي تتفرع منه الاستعارة المكنية ولم يذكره المتقدمون

الحقيقة والمجاز

الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له والمجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الحقيقة وانما قلنا اللفظ دون الكلمة ليشمل هذا التعريف المجاز المفرد والمجاز المركب كما سيأتي

وانما قلنا المستعمل في غير ما وضع له دون غيره من العبارات لان الكلمة تعد مجازا اذا استعملت في غير المعنى الموضوعه هي له في اللغة سواء كان استعمالها في المعنى المجازي اقل من استعمالها في المعنى الحقيقي ام مساويا او اشهر فان المجاز قد يشتهر ويسمى بالحقيقة العرفية مثل الزكاة والتيمم . ومثل الفاعل . والقياس (١) وقولي لعلاقة لاخراج الغلط واخراج المشاكلة الآتية في البديع . وقولي مع قرينة مانعة لاخراج الكناية وليبان شرط ماهية المجاز .

والقرينة ما يفصح عن المراد لا بالوضع من كلمة نحو رايت اسدا يرمي او صيغة نحو قول المستنجد ابن الأسود الضارون فان صيغة جمع العقلاء قرينة والا لقال الضارية . او حال الكلام نحو لقيت اسدا والمتكلم من اهل الحاضرة .

وتقييد القرينة بالمانعة لاخراج المعينة لمعنى كقرينة ارادة احد معاني اللفظ

المشترك او التي تُعَيَّن نوع المجاز من بين انواع يحتملها المقام فان تلك لا بد منها اذا لم يكن المراد اذهاب نفس السامع كل مذهب ممكن كما تقول هو بحر فيحتمل الكرم والعلم .

والعلاقة هي المناسبة التي بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والعلاقات كثيرة انها بعضهم الى ثمان وعشرين واشهرها المشابهة . والسببية . والمجاورة . والبعضية

(١) اردت بهذا ان اشير الى عدم الاحتياج الى زيادة قيد في اصطلاح التخاطب في تعريف المجاز وان من زاده كالمخلص نظر للظاهر

ويعبر عنها بالجزئية نسبة للجزء . والتقييد . اي اطلاق اللفظ الموضوع لمعنى مقيد على المعنى المطلق (١) والمثال . واضدادها . ويمكن ردها الى المشابهة والتلازم لان المراد الزوم عرفاً . فالمجاز ان كانت علاقته المشابهة سمي استعارة وان كانت علاقته غير المشابهة سمي مجازاً مرسلًا وقد يختلط مجاز الزوم بالكناية . واهم انواع المجاز هو الاستعارة لشدة عناية بلغائهم بالتشبيه وتنافسهم فيه منذ زمن امرئ القيس ولذلك سموا ما لم يُنَّ على المشابهة بالمرسل لانه المطلق عن التشبيه المعبر عندهم (٢)

ولنبداً بالكلام على المجاز المفرد ثم نتبعه بالمجاز المركب اما المجاز المفرد فقد تقدم تعريفه . فالمجاز المرسل المفرد كاطلاق الايادي على النعم في قوله * ايادي لم تُمن وان هي جلت * واطلاق العين على الرقيب واطلاق اللسان على الذكر الحسن في قوله تعالى « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ونحو ذلك وتفاصيلها غير صعبة .

والاستعارة المفردة تجري في الاسماء والافعال والحروف فكل كلمة من هاته الانواع اذا استعملت في غير ما وضعت له لمشابهة ما استعملت فيه لما وضعت له فهي استعارة فاستعارة الاسماء كثيرة واستعارة الافعال والحروف نحو * فلسان حالي بالشكاية انطق * واستعارة الحرف في نحو « ولاصلبنكم في جذوع النخل وقوله فالتقطه آل

(١) وقد ظفرت له بمثالين من كلام العرب اردت ذكرهما هنا لقلة امثله

المثال الاول قول سلامة بن جندل

ولّي حثينا وهذا الشيب يتبعه لو كان يدركه ركض اليعاقب

فجعل لليعاقب وهي ذكور الحجل ركضا . الثاني قول طرفة في المعلقة * وان

تلتعسني في الحوانيت تصطد * فاطلق على لقائه لفظ الاصطياد

(٢) هذا هو الوجه ولا يصح قول من قال انه ارسل فلم يقيد بعلاقه خاصة

لكثرة علاقاته لان هذا لا يسمى ارسالا بل تكثيرا اذ الارسال لا يكون الا في

مقابلة تقييد

فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » (١) ولا جدوى في تسميتها تبعية (٢) ولا يستعار الاسم العلم إلا اذا تضمن وصفا مشتهرا كحاتم بالجود وسحبان بالفصاحة .

تنقسم الاستعارة الى مصرحة ومكنية

فالمصرحة هي التي صرح فيها بلفظ المشبه به واستعمل في المشبه ملفوظا ،

او مقدارا نحو « لدى اسد » . ونحو قول المجيب نعم لمن قال له مثلاً « تنأغي غزالا عند باب ابن عامر ؟ »

(١) هذان المثالان استعير فيهما حرفان لمعنيين تمكن تأديتهما بحرفين حقيقيين وهما على وفاء التفريع وقد تكون استعارة الحرف لمعنى ليس له حرف يؤدي به كقوله تعالى « الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان ءاتاه الله الملك » فان هنالك استعارة تبعية لان لام التعليل محذوفة وقد جعل اتيانه الملك علة لانكار الربوبية فكان الكفر في موضع الشكر

(٢) اشرت الى ان تقسيم الاستعارة الى اصلية وتبعية تقسيم لا طائل تحته سوى ما يفيد كلام اسرار البلاغة من كون التبعية ابلغ والظاهر ان العلماء اضطروا الى اعتبار الاستعارة التبعية تنبيها على ما جاء من الاستعارات في فعل وفاعل مثل نطقت الحال مع صحة اعتبار الاستعارة في الفعل بتشبيه الدلالة بالنطق واعتبارها في الفاعل بتشبيه الحال باللسان وكذا قول عنترة * وشكى الى بعبرة وتحمحم * فنظروا الى استعارة فعل الفاعل ولذا جعلوا استعارة الفعل المناسب لاستعارة الفاعل استعارة تبعية تنبيها على ان المقصود بالتشبيه هو الحدث لا فاعله ثم اذا جرت في الفعل سموها تبعية لانها ناشئة عن استعارة المصدر هذا رأي الجمهور وهو قليل الجدوى . والسكاكي نظر الى ان المقصود اولا هو تشبيه صاحب فعل بصاحب فعل آخر وترتب على ذلك تشبيه فعله بفعل الآخر فوجدوا نوعا من الاستعارة المكنية فقول الجمهور وقول السكاكي هنا كقولهم في المجاز العقلي سواء بسواء فالتقسيم الى التبعية عند الجمهور ليس مبنيا على ملاحظة الاشتقاق كما توهمه كثير من الناس لانه لو كان كذلك لكان بحث علماء البيان فيه تطفلا .

والممكنية ويقال استعارة بالكناية وهي ان يستعار لفظ المشبه به للمشبه ويحذف ذلك اللفظ المستعار ويشار الى استعارته بذكر شيء من لوازم مسماه نحو قول ابي ذؤيب :

واذا المنية انشبت اظفارها الفيتُ كل تميمه لا تنفع

فقد ظهر من ذكر الاظفار ان المنية شبت بالسبع وقول ابي فراس :

فلما اشتدت الهيجاء كنا اشد محالبا واحداً نأبأ

ولا يضر بقاء لفظ المشبه في الكلام لانه صار مذكورا لغير قصد التشبيه بل لاكمال معنى اللازم المذكور الا ترى انه يجيء مضافا اليه كما في بيت ابي ذؤيب او يكون مذكورا في الخبر السابق كما في بيت ابي فراس (١)

واعلم ان هذا اللازم الذي هو من ملائمت المشبه به في الممكنية قد يكون غير صالح للاستعارة فالأتيان به اذا لمجرد كونه من لوازم ماهية اللفظ المحذوف كالاظفار في بيت ابي ذؤيب وكقول لبيد في المعلقة :

وغداة ريح قد كشفتُ وقيرةً اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

فشبه ريح الشمال براكب امسك بزمام فرس البرد وجعل له يدا ولا يصلح اليد لان تكون تشبيها لشيء في معاني هذا البيت ، وكذلك قوله تعالى « فكلوه هنيئا مريئا » شبه المال الماخوذ بالطعام والشراب وجعل له الهناء والمرى وقد يكون هذا اللازم صالحا للاستعارة ايضا كما في قوله تعالى « الذين ينقضون عهد الله » فان النقض من لوازم الحبل الذي شبه به العهد ويصح مع ذلك ان يكون مستعارا لابطال العهد وكالاظفار في قول حسين بن الضحاك يخاطب عمرو بن مسعدة ليشفع له لدى المامون الخليفة :

(١) اشرت بهذا الى الجواب عما يرد على تفسير الممكنية الذي اعتمدته هنا وهو مذهب السلف من انه يقتضي الجمع بين المشبه والمشبه به فيصير تشبيها بليغا لا استعارة . وحاصل الجواب اننا بعد تسليم كون التشبيه البليغ ليس باستعارة فلا نسلم ان هنالك جمعا بين المشبه والمشبه به لان ذكر لفظ المشبه به ليس مقصودا بالذات بل جيء به لبيان ان اللازم لم يرد به الحقيقة فتأمل .

انت يا عمرو قوتي وحياتي ولساني وانت ظفيري ونابي
فانه اراد تشبيه نفسه بسبع وتشبيه المخاطب بالشيء الذي به يدافع السبع عن
نفسه وذلك لا يبطل دلالته على المكنية لان مجرد إشعار اللفظ بلازم من لوازم المشبه
به المكني كاف في كونه دليلا على المكنية (١)

وأما المجاز المركب فهو الكلام التام المستعمل في غير ما وضع للدلالة
عليه لعلاقة مع قرينة كالمفرد .

ولا يختص بعلاقة المشابهة بل قد تكون علاقته غير المشابهة كالحبر المستعمل
في التحسر لعلاقة اللزوم نحو : * هواي مع الركب اليمانيين مُصعد * . وكالانشاء
المراد به الحبر كقوله * جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط * فيسمى حينئذ مجازا مركبا
فقط . وقد تكون علاقته المشابهة فيسمى استعارة تمثيلية وتمثيلا نحو :
اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى . شبت حالة المتردد في الراي بحال المتردد
في المشي واستعير المركب الدال على التردد في المشي للدلالة على معنى التردد في
الراي . وكذا قول عبد الله ابن المعتز :

إصبر على مضض الحسو د فاب صبرك قاتله
فالنار تاكل نفسها أن لم تجد ما تاكله

فقوله فالنار تاكل الخ مركب مستعمل في غير ما وضع للدلالة على معناه اذ هو
الآن مستعمل في معنى انت الحسود يرجع وبال حسده عليه ولا يضر به الا نفسه
كالنار تاكل نفسها اذا تركت ولم يلق فيها شيء تحرقه (٢) وكذلك قولهم انتهر

(١) اردت بهذا ان احيب عما يرد على تجويز كون لازم المشبه به في المكنية
مستعملا في معنى مجازي على طريقة المصراحة على ما جوزة صاحب الكشف في
« ينقضون عهد الله » وفي « فاذاقها الله لباس الجوع » من انه اذا كان مستعملا في معنى
مجازي لم يكن حينئذ من لوازم المكنية

(٢) ويقاس على هذا المثال غيره واعلم ان كل تشبيه وجهه مركب من متعدد
يصير استعارة تمثيلية بان تحذف اداة التشبيه وتستعير المركب المشبه به للمعنى المشبه-

الفرصة شبه هيئة المبادرة للفعل بالمبادرة لنوبة شرب الماء ، والاستعارة التمثيلية تنفرع عن التشبيه المركب المتقدم ذكره .

هذا والبالغاء يتقنون فياتون مع الاستعارة بما يناسب المعنى المستعار اغراقا في الخيال فيسمى ذلك ترشيحا نحو قول زهير :

لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبَد اظفاره لم تقلم

ف قوله له لبَد اظفاره لم تقلم ترشيحان . وقول النابغة :

وبنو سُوءة لا محالة انهم ءاتوك غير مقلبي الاظفار

وقد ياتون مع الاستعارة بما يناسب المعنى المستعار له اغراقا في الخيال ايضا بدعوى ان المشبه قد اتحد بالمشبه به فصارا حقيقة واحدة حتى ان الاسد يحمل بيده سيفا في قوله لدى اسد شاكي السلاح وحتى ان ريح الشمال تمسك بيدها زماما في قوله « بيد الشمال زمامها » ويسمون ذلك تجريدا لان الاستعارة جردت عن دعوى التشبيه الى الحكم بالاتحاد والتشابه التام ويكون ذلك مع المصراحة والمكنية كما علمته في المصراحة . واما المكنية فان ما يذكر من لوازم المشبه به صالح ابدا ليكون ترشيحا فكل من التجريد والترشيح اكمال للاستعارة واغراقا في الخيال ومن ثم لم يمتنع الجمع بينهما في كثير من كلامهم كما في بيت زهير المتقدم

وهذا يحقق لكم ان كلا من الترشيح والتجريد مشتمل على مبالغة في التشبيه من جهة (١) وان الترشيح والتجريد يخالفان القرينة (٢) وان التجريد ليس بنكول

كما تعمد الى بيت بشار فتصيره « فسقطت شهبنا عليهم في ليل القتام » وكما تقول « فالتهمتهم نيران الرماح ولها في دخان الغبار اضطرام » وبذلك تكثر لديك امثلة صالحة للتمثيلية التي لم يكثروا لها التعميل

(١) وفيه رد على قول من رأى ان اجتماع الترشيح والتجريد يصير الاستعارة مطلقة ودفع لما يقال كيف يجمع بين قصد المبالغة وقصد التضعيف في استعارة واحدة كبيت زهير .

(٢) لان القرينة في الغالب حالية فاذا كانت لفظية فالمتكلم لم يرد منها ترشيحا اي اغراقا في التشبيه على انه قد يقال ان الترشيح والتجريد يحصلان ولو

عن الاستعارة (١) وان الترشيح قد يكون باقيا على حقيقة اذا لم يكن لمعناه الوضعي شبيه كما في قوله « له لبد » وقوله تعالى « فكلوه هنيئا مريئا » اذا كان معنى فكلوه فخذوه اخذا لارد فيه والهيء المريء من صفات الطعام ولم يقصد هنا استعمالهما في وصف للال ولان معنى الاباحة قد استفيد من الامر في قوله كلوه لان الامر هنا للاباحة : وقد يكون استعارة اذا كان لمعناه شبيه يناسب التشبيه كما في قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا » فهو استعارة على استعارة واذا كان صالحا لذلك لم يُظن بالبليغ ان يفله . ومن النادر ان يقصد المتكلم من التجريد ابطال الاستعارة فيكون التجريد بمنزلة اخراج الحُبِّ كقولها

استغفر الله لامري كله قتلت ظبيا ناعما في دله اتتصف الليل ولم اصله
فانها لما ارادت تشبيه القرآن في براعة مستمعه بالظبي في براعة المنظر نبهت على ان الظبي قرآن يصل به . واذا جعل الترشيح استعارة لم يبطل ترشيحه للاستعارة الاولى لان استفادة الترشيح حاصلة من صورة لفظه (٢)

وما يجري من الترشيح والتجريد في المجاز المفرد يجري في التمثيل فمثال التجريد فيه قوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » الى قوله « ذهب الله بنورهم » فان جمع الضمير مراعاة للمشبه لا للمشبه به لانه مفرد . ومثال ترشيح التمثيلية قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض » فجملة اثاقلتم تمثيل لهيئتهم في التنصل من الخروج بهيئة الجسم الثقيل في صعوبة تنقله وقوله الى الارض ترشيح

مع اعتبار قرينة المصرحة تجريدا وقرينة المكنية ترشيحا لامكان دلالة كل على الامرين في آن واحد اذ هي اعتبارات ادبية يعتبرها المتكلم وينبه السامع اليها

(١) اردت بهذا بيان الفرق بين الترشيح الذي يعد مجرد ترشيح وبين ما يتعين ان يعد استعارة للرد على السمرقندي في قوله ويحتمل الوجهين

(٢) فلا ير قول من قال ان الترشيح اذا جعل استعارة لم يبق مستعملا في

ملائم المشبه به بل في ملائم المشبه فيصير تجريدا

الكناية

هي ما يقابل التصريح والمراد بها هنا لفظ اريد به ملزوم معناه مع جواز ارادة المعنى اللازم وبهذا القيد الاخير خالفت المجاز المرسل الذي علاقته اللزوم (١) والاصل فيها ان يراد المعنى مع لازمه ويكون اللازم هو المقصود الاول فان البدوي اذا قال « فلان جبان الكلب ومهزول الفصيل » اراد ان كلبه وفصيله كذلك والمقصد وصفه بالكرم فاذا شاع ذلك صح اطلاقه ولو لم يكن له كلب ولا فصيل كما اذا قيل في وصف الحضري فلان جبان الكلب .

وهي تنقسم الى واضحة وخفية فالواضحة هي التي لا تحتاج الى اعمال روية نحو قولهم طويل النجاد كناية عن طول القامة وقول العرب مثلك لا يفعل كذا وغيرك لا يفعل يريدون انت لا تفعل قال تعالى « ويتبع غير سبيل المؤمنين » اي لا يتبع سبيل المؤمنين . والخفية التي تحتاج لاعمال روية اما لحفاء اللزوم نحو عريض القفا كناية عن الغباوة واما لكثرة الوسائط نحو كثير الرماد بمعنى كريم (٢) . والكناية ابلغ من التصريح لمن كان ذكيا .

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

اعلم ان البلغاء يتفنون في كلامهم فيأتون فيه بما لا يجري على الظاهر الشائع

- (١) ظفرت بمثال يتعين فيه ان يكون اريد لازم المعنى مع المعنى وذلك قوله تعالى « وأنه هو اضحك وابكى » اراد افرح واحزن والضحك والبكاء كذلك
- (٢) فان استلزام عرض القفا للغباوة خفي لانه من الفراسة . وكثرة الرماد تستلزم كثرة احراق الحطب وهو يستلزم كثرة الطبخ فكثرة الآكلين فكثرة الضيوف وذلك يستلزم الكرم وهذه كناية عربية موجودة في ادبهم . قال من رثى طريفاً ابن تميم العنبري
- عظيم رماد النار لا متعبس ولا موبس منها اذ هو اوقدا
- ومثله في حديث ام زرع زوجي طويل النجاد كثير الرماد . فاذا اشتد الحفاء حتى اوقع في استبهام المراد سمي ذلك بالتعقيد المعنوي وهو ينافي الفصاحة .

بين اهل البلاغة يقصدون بذلك التمديح والتحسين او يعتمدون على نكت خفية يقتضيها الحال ولا يتفطن لها السامع لو لم يلق اليه ما يخالف ظاهر الحال (١) فلا ينبغي ان يعد في خلاف مقتضى الظاهر ما كان ناشئا عن اختلاف الدواعي والنكت مع وضوح الاختلاف كالوصل في مقام الفصل وعكسه لدفع الابهام ؛ ولا الاطناب في مقام الايجاز لاستصغاء السامع ؛ لظهور نكتة ذلك ، وكذا لا يعد ما كان ناشئا عن علاقة مجازية كاستعمال الخبر في الانشاء ولا ما كان ناشئا عن تنزيل الشيء منزلة غير مع وضوح لانه من المجاز كالقصر الادعائي وكعكس التشبيه ؛ فتعين ان يوضع ذلك ونظائره في مواضعه من ابوابه وان كان فيه رائحة من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من حيث ان الاصل خلافه وان الذهن لا ينصرف اليه ابتداء ، وانما يعد من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ما لم يكن ناشئا عن نكتة اصلا وهذا لا يوصف بموافقة مقتضى الحال ولا بمخالفته ، وكذا يعد منه ما كان ناشئا عن نكتة خفية لا يتبادر للسامع ادراكها بسهولة وهذا يوصف بانه مقتضى حال لكنه خفي غير ظاهر .

فمن الاول الالتفات وهو انتقال المتكلم من طريق التكلم او طريق الخطاب او طريق الغيبة الى طريق آخر منها انتقالا غير ملتزم في الاستعمال (٢) نحو الحمد لله رب العالمين الى قوله « اياك نعبد » فان مقتضى الظاهر ان يقول اياه نعبد

(١) اردت بهذا ان اشير الى ان النسبة بين مقتضى الظاهر ومقتضى الحال العموم والخصوص الوجهي فيكون بين نقيضيهما وهما خلاف مقتضى الظاهر وخلاف مقتضى الحال نسبة التباين الجزئي ومن العلماء من جعل مقتضى الظاهر نوعا من مقتضى الحال وقال ان مقتضى الحال قد يكون مقتضى ظاهر وقد يكون غير مقتضى الظاهر فتكون النسبة بين المقتضيين وبين خلاف المقتضيين العموم والخصوص مطلقا وهو اصطلاح والاول أولى

(٢) احتراز عما كان ملتزما في الاستعمال بحسب قياس الكلام مثل انا زيد وانت عمرو او بحسب الطريقة المتبعة في نظائره مثل نحن الذين فعلوا كذا فان طريقة العرب في ضمير الموصول ان يعود اليه بطريق الغيبة

وقوله « وألله الذي ارسل الرياح فتشير سحابا فسقناه » فان مقتضى الظاهر ان يقال فساقه وله نكت تزيد حسنا في الكلام لها بيان في المطولات
ومنه ايضا الاسلوب الحكيم وهو تلقي من يخاطبك بغير ما
يترقب او سائلك بغير ما يتطلب . بان تحمل كلام مخاطبك (بكسر الطاء) على
خلاف مرادة تنبيهها على انه الاولى له بالقصد كقول القبعثري للحجاج وقد قال له
الحجاج متوعدا اياه « لاحتلك على الادهم » يعني القيد فقال له القبعثري « مثل
الامير يحمل على الادهم والاشهب » فصير مرادة للفرس ومنه قول

انت تشككي مني مزاوله القرى وقد رات الاضياف ينحون منزلي
فقلت لها لما سمعت كلامها هم الضيف جدي في قراهم وعجل

وبان تجيب سؤال السائل بغير ما يتطلب تنبيهها على انه الاولى بحاله او المهم
له كقوله تعالى « يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج »
ومنه القلب وهو جعل احد اجزاء الكلام مكان الآخر لغير داع
معنوي دون تعقيد ولا خطأ ولا لبس (١) ويقصده البلغاء تزيينا للكلام فمعه ما
ليس بمطرد نحو عرضت الناقة على الحوض وادخلت الخاتم في اصبعي ومنه مطرد
في الكلام كثير عندهم حتى صار اكثر من الاصل نحو قولهم ما كاد يفعل كذا يريدون
كاد ما يفعل وعليه قوله تعالى « وما كادوا يفعلون » وقوله « لم يكذ يراها » ومن
هذا النوع التشبيه المقلوب المذكور كله في البيان وعليه قول رؤبة

ومهمه مغبرة ارجاؤه كأن لون ارضه سماؤه

وقد ظهر ان هذا النوع كله لا حال تقتضيه ولكنه تمليح في الكلام .

ومن النوع الثاني من انواع تخريج الكلام على خلاف
مقتضى الظاهر ما تقدم في باب الاسناد من تنزيل غير السائل منزلة السائل ومنه مخاطبة
الذي يفعل بالامر بالفعل لقصد الدوام على الفعل كما في « يا ايها الذين آمنوا آمنوا »
او لعدم الاعتداد بفعله كما في الحديث « صل فانك لم تصل » .

(١) احترازا عما كان قلبا يوجب تعقيد الكلام او كان عن خطأ او كان

ومنہ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه لان المستقبل مشكوك في حصوله فاذا اردت ان تحققه عبرت عنه بالماضي اذ الماضي فعل قد حصل نحو قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض » (١)

ومنہ التغليب وهو اطلاق لفظ على مدلوله وغيره لمناسبة بين المدلول وغيره والداعي اليه اما الاجاز فيغلب اخف اللفظين نحو قولهم الابوين والعمرين لابي بكر وعمر رضي الله عنهما . واما مراعاة اكثرية استعمال لفظ او صيغة في الكلام فتغلب على اللفظ او الصيغة المرجوحة نحو قوله تعالى « وكانت من القانتين » . واما لتغليب جانب المعنى على اللفظ نحو « بل انتم قوم تجهلون » ولعل هذا من الالتفات (٢)

فن البديع

البديع هو المحسنات الزائدة في الكلام على المطابقة لمقتضى الحال وتلك المحسنات اما راجعة الى معنى الكلام باشتمال المعنى على لطائف مفهومة تحسنه وتكسبه زيادة قبول في ذهن المخاطب . واما راجعة الى لفظ الكلام باشتماله على لطائف مسموعة تونقه وتوجب له بهجة في سمع السامع وقد مر في مقدمة هذا الموجز ان فن البديع هو اول ما افرد بالتأليف من فنون البلاغة وان مدونه هو عبد الله ابن المعتز العباسي

(١) شبه المستقبل بالماضي في التحقيق فاستعير للدلالة عليه الفعل الدال على الماضي والقرينة قوله « ينفخ في الصور » بصيغة المستقبل . ومن هذا القليل التعبير عن المستقبل باسم الفاعل او اسم المفعول نحو « وان الدين لواقع » ذلك يوم مجموع له الناس « لان اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة الحال

(٢) التغليب من خلاف مقتضى الظاهر الراجع الى المجاز كما صرح به في المطول فهو ذو قرينة خفية وهو اما مجاز مرسل علاقته الزوم العرفي الادعائي واما استعارة علاقتها المشابهة في الجملة . وهذا بالنسبة للمعنى الذي لم يوضع له اللفظ واما بالنسبة للمعنى الذي معه فهو حقيقة فيكون من استعمال اللفظ في حقيقة ومجازة فيكون هذا التغليب مستثنى من الخلاف في صحة استعمال اللفظ في حقيقة ومجازة

والمحسنات البديعية كثيرة لا تتحصر عدًّا وابتكارا ويكفي المبتدئ ان يعرف مشهورها من القسمين اللفظي والمعنوي

أما المعنوي فمنه التجريد وهو ان يُتنزع من امر ذي صفة امر آخر مثله في تلك الصفة انتزاعا وهميا حتى تصير الذات الواحدة ذاتين مبالغة لكمال الوصف في تلك الذات كقولهم لي منك صديق حميم ولئن سالت فلانا لتسالن به بحرا ومن هذا مخاطبة المرء نفسه وذلك كثير في الشعر كقول النابغة

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل

ومنه طالع قصيدة البردة البصيرية « أمن تذكر حيران البيت »

ومنه المبالغة الملقبة لتر وهي ادعاء بلوغ وصف في شدته او ضعفه مبلغا يبعد او يستحيل وقوعه . واصدقها ما قرن بلفظ التقريب نحو يكاد زيتها

يضىء . ودونه ما علق على ما لا يقع كقول المتنبي

عقدت سناجكها عليها عثيرا لو تبغني عنقا عليه لامكنا

وما عدا ذلك يحسن منه ما تضمن تمليحاً كقول المتنبي

كفى بجسمي نحولا اني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ومنه التورية وهي ان يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد المعنى البعيد اعتمادا على القرينة لقصد ايقاع السامع في الشك والايهام ولم تكن معروفة في شعر العرب الا في قول لبيد يذكر قتلاهم ويوري بابيه ربيعة قتل يوم ذي علق ولا من ربيع المقترين رزئته بذي علق فاقتني حياءك واصبري وقول عنتره :

جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدهرهم

البكر السحابة السابق مطرها والحررة الخالصة من البرد . وقد اشتهر بالابداع في هذا النوع علي الغراب الصفاقسي المتوفى سنة ١١٨٣ كقوله :

جمعت هوى ظبي وقد كان جامعا لزيثونة من فوق اغصانها التوى

فيا جامع الزيتونة الفاتن الورى تفضل بمعروف على جامع الهوى
ومنه التلميح (بتقديم اللام على الميم) وهو الاشارة في الكلام الى قصة
او مسالة علمية او شعر مشهور كقول ابي تمام :

فوالله ما ادري أحلام نأسم أَلَمْتُ بنا ام كان في الركب يوشع
يشير الى القصة المذكورة في الاسرائيليات ان الشمس ردت ليوشع النبي عليه
السلام في بعض غزواته لئلا يدخل السبت وهو بصدد فتح القرية ، وقول ابن الخطيب
شاعر الاندلس

وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن انس
يشير الى نسب النعمان ملك العرب والى رواية الامام مالك عن الصحابي
مسقطا الواسطة وهو الحديث المرسل ، اي ان شقايق النعمان روت عن ماء السماء
بواسطة الارض

ومنه الماشاكلة وهي ان يعتمد المتكلم الى معنى غير موجود فيقدرة
موجودا من جنس معنى قابله به مقابلة الجزاء او العوض ولو تقديرا كقوله تعالى
« يخادعون الله وهو خادعهم » عبر عن العقاب بالخداع لوقوعه جزاء عن الخداع
وقول ابي الرقعمق (١)

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي حبة وقميصا
عبر عن صنع الحبة والقميص بالطبخ لوقوعه عوضا عن الطبخ ، وقولي ولو
تقديرا لادخال المشاكلة التي لم يجتمع فيها لفظان ولكن معنى احد اللفظين حاضر في
الذهن فيؤتى باللفظ المناسب للفظ المقدر نحو قول ابي تمام :
من مبلغ أفناء يعرب كلهم أني بنيت الجار قبل المنزل
ومنه تأكيد الشيء بما يشبه ضده حتى يخيل للسامع ان الكلام
الاول قد انتقض فاذا تأمله وجده زاد تأكدا كقول النابغة

(١) هو احمد بن محمد الانطاكي من شعراء الشام ومدح ملوك مصر وكان في
زمن كافور توفي سنة ٣٩٩ وقبل هذا البيت بيت آخر وهو :
اخواننا قصدوا الصبح بسحرة فاتى رسولهم الي خصيصة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (١)
ومنه براءة الاستهلال وهي اشتغال اول الكلام على ما يشير الى
المقصود منه كقوله في طالع قصيدة هناء :

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد في افق العلا صعدا

واما المحسنات اللفظية ، فمنها التجنيس ويسمى الجنس
وهو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف المعنى وهو قديم في كلام العرب كما في
المثل العربي القديم « هذا جنائي وخياره فيه ، اذ كل جان يده الى فيه » وفي القرآن
منه كثير وقول ابي تمام :

ما مات من كرم الزمان فانه يحيى لدى يحيى ابن عبد الله
وقول الحريري :

سم سمة تُحمد آثارها واشكر لمن اعطى ولوسمسمه
والمكرُ مهمى اسطعت لآتاته لتقتني السودد والمكرمة

فان كان التشابه في غالب حروف اللفظين فهو غير تام كقوله تعالى « وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا »

ومنه القلب ويسمى الطرد والعكس وهو ان يكون الكلام
اذا ابتدأته من حرفه الاخير وذهبت كذلك الى حرفه الاول يحصل منه عين ما
يحصل من ابتدائه كقول القاضي احمد الارجاني (نسبة الى ارجان بفتح الهمزة
وتشديد الراء المفتوحة كورة من كور الاهواز ويجوز تخفيف رائها)

(١) وهذا الذي سلكه النابغة هو احسن انواعه وهو ما يوههم عيبا في الظاهر
او نحو العيب من المدح اذا كان الضد دما ومثله ايضا قول الحريري :
ما فيه من عيب سوى انه يوم الندى قسمته ضيزى
بخلاف ما لا يكون فيه من الايهام الا ذكر لفظ الاستثناء او الاستدراك
نحو قوله :

هو البدر الا انه البحر زاخرا سوى انه الضرغام لكنه السوبل

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم
فهذا البيت اذا ابتدأته من حرفه الآخر الى حرفه الاول كان مثل ابتدائه من
حرفه الاول .

ومنها الاقتباس والتضمين فالأقتباس هو اخذ شيء من القرآن او
كلام النبوة والتضمين اخذ شيء من الشعر المشهور ومزجه مع الكلام نظماً
او نشرًا ولو مع اختلاف الغرضين ولو مع تغيير يسير فمن الاقتباس قول
الحريري في المقامة الثانية « فلم يكن إلا كالمح البصر او هو اقرب حتى انشد فاغرب » .
ومن التضمين قول ضياء الدين موسى من ملهم الكاتب في هجاء الرشيد عمر الفوي
وكان اصلع واسنانه بارزة

اقول لمعشر جهلوا وغضوا من الشيخ الرشيد وانكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه
ويجوز فيهما التغيير اليسير كما في المصراع الاخير المتقدم وكقول ابي القاسم
ابن الحسن الكاتبي :

ان كنت ازمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل
وهذا آخر ما اردت املاء في علم البلاغة ، وارى فيه للقانع من هذا العلم مقنعه
وبلاغه . وكان تمامه في منتهى شهر رمضان من عام ثلاثة واربعين وثلاثمائة والف
بمرسى جراح الشهر بالمرسى كتبه مؤلفه محمد الطاهر ابن عاشور

اصلاح الغلط الواقع في طبع موجز البلاغة

صفحة	سطر	الخطا	الصواب
٣	٢	بَاعَ	بَلَّغَ
٧	١٦	عندها	عدها
٨	٨	الاختلال	لاختلال
١٠	٧	يتأتى	ياقي
١١	١٥	بنسكته	لنسكته
١١	٢٣	إذا	اذ
١٣	١٥	ملاء	ملا
١٣	٢٤	تقوم	تقدم
١٤	١٥	يودي	يؤدى
١٥	١٠	والخبر ظرف	والخبر فعل
١٥	١١	تقديم الظرف	تقديم الفعل
١٥	١٣	حارث	حارت
١٦	١	الى المسند	الى ان المسند
١٦	١٤	كان	لان
١٧	٨	اذا مقام	اذا في مقام
١٧	٩	عزيزا	كثيرا
٢٠	٢	فيخرج من بقولنا	فيخرج بقولنا
٢٣	٢٤	تحسن	تحسبن
٣٠	١٢	باللذاة	باللذة
٤٠	١١-١٠	وحتى ان ريح الشمال تمسك بيدها زماما في قوله بيد الشمال زمامها	يقدم فيجعل عقب السطر ٧
٤١	٤	للحال ولان	للحال كالا باحة لان
٤١	١٢	لفظله	لفظه
٤١	٢٣	فلا ير	فلا يرد
٤٥	١٦	مقدمة	مقدمة

تقريض الكتاب

بقلم العلامة الجليل الاستاذ الاكبر الهمام مولانا الشيخ سيدي محمد ابن يوسف
شيخ الاسلام الحنفي ابقى الله النفع به

حمدا لمن نظم جواهر البلاغة باسلاك البيان . والهم كل بليغ لمقتضى الحال
والشان . واكرم من شاء بفضيلة الاحسان . والكلم الحسان . وصلاة وسلاما على
سيدنا ومولانا محمد افصح من نطق بالضاد من بني معد وعدنان . المؤيد بالقرءان .
الذي اعجز مصانع البلغاء من قاص ودن . فلم يكن لهم في معارضته يبدان . صلى
الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الفصحاء الجلة الاعيان . وبعد فقد اجلت النظر
في غرضون هذه الرسالة الوحيزة . والدررة الثمينة العزيزة . فوقفنا منها على روضة
زاهرة زاهية . قطوفها دانية لا تسمع فيها لاغية . فيها من تقريب العبارة . وتوضيح
الاشارة . ما تتلقاه المدركة بمجرد الالتفات . ولا تخشى فيه الحافظة القوات . معززة
القواعد بمختارات الشواهد . وفرائد الفوائد . الى اعتبارات لطيفة . وتحقيقات
شريفة . وانها لتبصرة للناشئين . وتذكرة للشاادين والمتبصرين . جديرة بالتخصيص .
لان تكون مبدءا لدراسة التلخيص . حسنة من حسنات ذلك الهمام ناشرا لوية
العلوم . وكشاف غوامض الفهوم . مديج صفحات المهارق بدائع التحجير والتحرير .
العلامة الجليل الاستاذ الدراكة التحرير . صفوة الخيرة ابي عبد الله الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي ادام الله فضله . وكم له في الفنون من
بد حميدة . ومصنفات رائقة مفيدة . متع الله الامة بمواهبه العلمية . ومحرراته
العبقريّة . بمنه تعالى وكرمه كتبه الفقير الى ربه محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي
لطف الله به في ١٢ ربيع الثاني سنة احدى وخمسين وثلاثمائة والف

قرار النظارة العلمية

الحمد لله اما بعد فقد قررت النظارة العلمية تدريس موجز علم البلاغة لاهل
السنة الاولى من المرتبة المتوسطة عوضا عن رسالة الوضع وكتب في ١٠ جمادى
الاولى وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٣٥١-١٩٣٢
محمد بن يوسف . محمد الطاهر ابن عاشور . محمد الطيب بيرم . صالح الملقى